كتاب الهلال

سلسلة
ثقافية
شهرية

رجال صدقوا

الدكتور أحمد الشرباصي

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر من « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : فكرى أباظة • نائب رئيس مجلس الإدارة : صالح جودت

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفنى : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايد عياد

العدد ٢٩٧ - شعبان ١٣٩٥ - سبتمبر ١٩٧٥

No. 297 — September 1975

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : «١٢ عددا» فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صاغا • فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات امريكية أو ٥ر٢ جك - والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية • فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والاسعار الموضحة اعلاة بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب •

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

كتاب الهلال

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 18 / شعبان / 1444 هـ
في 10 / 03 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائي



م. سرمد حاتم شكر

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

الغــلاف بريشـــة
الفنان جمــال قطب

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

الدكتور أحمد الشرباصي



دار الهلال

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تبارك وتعالى ، واصلى وأسلم على جميع أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه وأحبابه ، ومن دعا بدعوته الى يوم الدين ، وأستفتح بالذى هو خير : « ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ، واليك المصير » .

شعاع من كتاب الله

انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، اولئك هم الصادقون » .

« سورة الحجرات »

تصدير

من دقائق لغة القرآن الكريم : اللغة العربية ، انها تعقد صلة بين الصدق والنضال ، فمادة «الصدق» فيها تدل على القوة فى الشىء ، سواء أكان هذا الشىء قولا أم عملا ، وسمى العرب الحق فى القول صدقا ، لقوة الحق فى نفسه ، ولأن الكذب ضعيف مهين .

وتقول اللغة فى مجازها : رجل صادق الحملة ، وذو صدق فى القتال ، وصدقوهم القتال .

و « الصدق » معنى واسع ، قد يتمثله عامة الناس فى صدق القول فحسب ، ولكن الصدق بالمعنى الواسع هو تطابق المظهر مع المخبر ، والشكل مع الباطن ، والمنطق مع الضمير .

ولغة القرآن العربية تضفى على مادة « الصدق » جلالا وجمالا ، حين تطلقها على كل عمل طيب حسن ، فنجد فى القرآن المجيد قوله : « وقل رب ادخلنى مدخل صدق ، واخرجنى مخرج صدق » ، ونجد فيه : « وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم » اى سابقة فضيلة . ونجد فيه : « ان المتقين فى جنات ونهر، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر» ... وهكذا .

والله جل جلاله موصوف فى القرآن بالصدق : « وصدق الله ورسوله » ، « ومن أصدق من الله حديثا » .

والرسل موصوفون بالصدق : « هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون » . والأخيار من عباد الله موصوفون بالصدق : « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (١) .

والامام ابن القيم يشير الى ارتباط الصدق بالجهاد حين يقول : « الصدق روح الاعمال ، ومحك الاحوال ، والحامل على اقتحام الاهوال ، والباب الذى دخل منه الواصلون الى حضرة ذى الجلال » .

والصدق هو أقوى سبب يحتاج اليه أهل الجهاد والكفاح ، ولذلك طالب الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يحرص على تبين الصدق فيمن يريدون الجهاد معه ، فقال له : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » .

واذا كنا محتاجين الى الصدق فى أقوالنا وأخبارنا ، فاننا أشد احتياجا الى الصدق فى أعمالنا ، وفى وجوه نضالنا . اننا محتاجون الى صدق فى النية ، وصدق فى العزم ، وصدق فى الوعد ، وصدق فى الوفاء ، وصدق فى الفداء ، حتى ندرك ذلك المستوى الرفيع الذى وصف به رب العزة صفوة من خلقه ، فقال عنهم سبحانه : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

---

(١) يطالع بعناية فصل « الصدق » من كتابى « اخلاق القرآن » . الجزء الاول ، ص ٤٠ ـ ٥١ الطبعة الاولى .

وهذه كوكبة من عمالقة التاريخ الاسلامى ، تألقوا بين قومهم بصدقهم فى ايمانهم واقدامهم وكفاحهم ، حتى عطروا الصفحات الكثيرة من تاريخ امتهم المجيد بالشذا الطيب والعبير الجميل .

انها كوكبة صاغها الاسلام على عينه ، وصنعها بعبقريته ، فتأنق فى صنعها ، واستطاعوا بفضل الله وحده ، ثم بأثرالاسلام فى نفوسهم وحياتهم ، أن يتقدموا الصفوف ، ويواجهوا الزحوف ، ويلاقوا الحتوف ، شعارهم كلمة توحيدهم : لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، وديدنهم الوفاء المؤدى ألى الفداء ، وراس مالهم : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » ، ومبدؤهم : الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد .

وما أجمل الصدق بداية وغاية ، وصدق العلى الكبير « قال الله : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ، خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم » .

د : أحمد الشرباصى

الشهيد ذو النـور

الطفيل بن عمرو الدوسى

قد يكون الانسان عظيما فى قومه ، كثيرا فى ماله ، واسعا فى جاهه ، يستطيع أن يأمر وينهى ، وأن يعطى ويأخذ ، وأن يتسلط ويتحكم . ثم يكون مع ذلك بلا عقيدة تهديه ، أو ايمان يزينه ويعليه ، فيظل جاهه ماديا محدودا ، وتظل مكانته عرضة للزوال أو الاختلال .

ولـكنه اذا أوتى مع جاه السلطة والمال نور الايمان وقوة اليقين . فقد فاز بنعيمى الدنيا والعقبى ، ووصل اسباب مجده المادى بمجد آخر روحى ، يضمن لهجمال المسعى فى حياته ، وخلود الذكر بعد وفاته ، وصدق القائل : «ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا » .

وكم من اناس رتعوا فى الحياة وجمعوا ، وتملـكوا فكنزوا ، وسادوا فاستبدوا ، ثم جاءتهم ريح عاصف ، فقوضت مابنوا ، وبعثرت ماجمعوا ، وكانوا صـــورا لأمر هذه الدنيا التى يصفها رب العزة بقوله : « حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ، وظن اهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليـلا او نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

ولقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من النـاس ، كسبوا العزة والمجد بين اقوامهم ، ولـكن هذا لم يصدهم عن الاهتـداء بنور ربهم ، فلما ضمهم موكب الدعوة الالهية على يد قائده محمد، زادوا شرفا ورفعة ، وكانوا عند الله من المصطفين الاخيـار، وربك يخلق ما يشاء ويختار .

وهذا واحد منهم :

انه الصحابى الجليل ، المؤمن الكريم ، الفنى التقى، المجاهد الشهيد : ابو عمرو الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسى الازدى ، رضوان الله عليه . كان سيد قبيلته دوس ، وكان اكرم قومه ، واوسعهم عطـاء ، وكان ابينهم منطقا ، وانبلهم شعرا ، وكان ابصرهم بالتجارة واقدرهم على الربح .

وسمع الطفيـل بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فى صدر الدعوة ، فأقبل الى مكة متـاجرا ومستخبرا ، ولكن المشركين قابلوا هذا السيد الزعيم فى قومه (١) ، واخذوا يشوهون فى نظره صـورة محمد بن عبد الله رسول الله ، وجعلوا يقولون له : يا ابا عمرو ، يا ابا الطفيل (٢) ، انك قدمت بلادنا ، وهـذا الرجل الذى بين أظهرنا قد اعضل امره بنا (اى اشتد وصعب علينا) وفرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وانما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وابيه ، وبين الرجل واخيـه ، وبين الرجل وزوجته .

يقول الطفيل : فوالله ما زالوا بى حتى اجمعت أن الا

(١) يرجع الى كتاب الروض الانف للسهيلى ، ج ١ ص ٢٣٤ لانه اوسع واوفى من غيره بكثير فى هذا المقام .

(٢) كان العرب يكنونه ابا الطفيل تعظيمـا له ، حتى لا ينادوه قائلين : يا طفيل (السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٧) .

اسمع منه شيئا ولا أكلمه ، وغدوت الى الكعبة وقد حشوت اذنى كرسفا (اى قطنا) خوفا أن يبلغنى شىء من قوله ، حتى كان يقال لى «صاحب القطنتين» . وفرح المشركون بذلك ..

وعند الكعبة شاهد الطفيل رسول الله يصلى ، وابى الله الا ما يشاء . فقد سمع الطفيل بعض كلام النبى على غير تعمد فأعجبه ، فقال فى نفسه : وا ثكل أمى ، والله انى لرجل لبيب شاعر (١) ، ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يسعنى أن أسمع من الرجل ما يقول ؟ ..

وانتظر الطفيل حتى انفض الناس ، وسعى الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقال له : يامحمد ، ان قومك قالوا لى كذا وكذا ، حتى سددت أذنى بالكرسف (القطن) لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله الا أن يسمعنيه ، فسمعت قولا حسنا ، فأعرض على أمرك.

وعرض الرسول عليه الاسلام ، وتلا عليه ما تيسر من القرآن الكريم . يروى ــ كما فى السيرة الحلبية (٢) ــ انه تلا عليه قول الحق تبارك وتعالى : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » وقوله : « قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد » . وقوله : «قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور

(١) يقول التاريخ عن الطفيل : « كان شاعرا كريما كثير الضيافة » ومن شعره : « ففينا الشعر والملك القدام » اى القديم (النهاية ج ١ ص ٢٨) .

(٢) السيرة الحلبية ، ج ٢ ص ٣٤٧ .

الناس ، من الجنة والناس » .
وفى هذا نظر ، لان نزول المعوذتين كان بعد الهجرة ، الا ان يقال ان نزول السورتين قد تكرر ، والله اعلم بحقيقة ما تلاه الرسول على الطفيل .
وقال الطفيل عقب تلاوة الرسول : والله ما سمعت قولا قط احسن من هذا ولا امرا اعدل منه .
ثم اعلن الطفيل اسلامه قائلا : اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد انك رسول الله !
وكان اسلام الطفيل بن عمرو عقب رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من رحلته الى الطائف ، حيث قدم على رسول الله ، فعرض عليه الاسلام فأسلم ، وامره النبى بأن يدعو قومه الى الاسلام فاستجاب لذلك .
وتبدل أمر الطفيل ..
لقد جاء لتجارة الدنيا فأسعده الله بتجارة الآخرة .
وجاء معتزا بزعامته وسيادته ، فأصبح يعتز بدينه وايمانه ، وجاء وهو يسعى لجمع المال وزيادة الثروة ، فأصبح حريصا على الدعوة الى الله ، وحث الناس على عبادته ، ولذلك قال للنبى : يا رسول الله ، انى امرؤ مطاع فى قومى ، وانا راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام ، فادع الله أن يكون لى عونا عليهم .
فدعا له الرسول بالخير ، ثم قال : اللهم اجعل له آية .
وفى رواية ان الطفيل هو الذى طلب من الرسول أن يجعل الله له آية تكون له عونا على الدعوة الى الله ، فدعا له الرسول بذلك .
وعاد الطفيل الى قومه وداره .
وبينما هو فى الطريق سطع نور فى وجهه من عينيه ، كأنه مصباح يضىء ، وكان ذلك كرامة من الله عز وجل ،

واستجابة لدعوة الرسول . وأحس الطفيل بهذا النور الساطع ، وخشى أن يقول المشركون ان ذلك مثلة وتشويه بسبب خروجه على دينهم ، فدعا ربه قائلا :

اللهم اجعل هذا النور فى غير وجهى ، فانى أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت فى وجهى لفراق دينهم .

واستجاب الله دعاءه ، فنقل النور من وجهه الى طرف سوطه ، فصار كقنديل يتلألأ وسط الظلام ويتأجج ـ أى يضىء من أجيج النار وهو توقدها ـ حتى صار يلقب بلقب يعرف به ، وهو «ذو النور» . والله يختص بفضله من يشاء .

وفى هذه الآية التى منحها الله تبارك وتعالى الطفيل يقول السبكى فى تائيته :

وفى جبهة الدوسى ، ثم بسوطه
جعلت ضياء مثل شمس منيرة

وبدأ الطفيل جهاده السلمى عقب عودته ، بالدعوة الى الله بين قومه ، فتحدث الى أبيه أولا عن الاسلام حتى اقنعه به ، وقال الوالد لابنه : دينى دينك . وأعلن اسلامه .

ثم دعا زوجته فاستجابت ، ثم عم الاسلام أسرته . وأخذ الطفيل بعد ذلك يدعو قومه ، وكانوا أهل عناد وشدة ، فلم يطيعوه برغم صبره ومثابرته ، ولما صعبوا عليه رحل الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وشرح له متاعبه مع قومه ، وقال فيما قال : يا رسول الله غلبتنى دوس فادع عليهم .

ولكن الرسول ـ وهو رحمة الله المهداة ـ قال : اللهم اهد دوسا وائت بها .

وفى رواية أن الطفيل قال للرسول عن دوس : ان دوسا غلب عليها الزنى والربا ، فادع الله عليهم . وقال

الصحابة عندئذ : هلكت دوس . ولكن الرسول قال : الله اهد دوسا . ثم قال له الرسول : ارجع الى قومك ، فادعهم وارفق بهم .

وفى رواية اخرى أن الطفيل قال : ان دوسا قد استعصت . وقال الرسول : اللهم اهد دوسا وائت بهم

وفى رواية أن الطفيل قال : يا رسول الله : ان دوسا قد عصت وابت فادع الله عليها . فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه ، فحسب الصحابة أنه سيدعو عليها. فقالوا : هلكت دوس ، ولكن الرسول الرحيم قال : اللهم اهد دوسا وائت بهم .

والروايات متقاربة . وهى فى مجموعها تدل على جهد الطفيل ، وعلى حلم الرسول، وتعليمه الدعاة أن يحتملوا ويصبروا فى سبيل الله عز وجل .

وعاد الطفيل الى قومه يواصل دعوته ، ويجاهد من أجل ذلك جهاد الدعاة الصابرين ، وبعد غزوة الخندق كان الاسلام قد انتشر بين قومه ، فأقبل الطفيل الى النبى صلوات الله وسلامه عليه ، ومعه رجال يمثلون ثمانين بيتا من البيوت المسلمة فى دوس ، فأكدوا للرسول بيعتهم على الاسلام ، وهنا قال الطفيل :

يارسول الله ، اجعلنا ميمنتك ، واجعل شعارنا : « مبرور » .

فاستجاب الرسول لرجائه وحقق له ما أراد ، تكريما لجهاده المسالم فى سبيل الله .

واخذ الدوسيون يشاركون فى جهاد الميدان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاركة عظيمة ، وسقط منهم شهداء بعد شهداء .

وكان الطفيل قد رأى أنه أدى واجبه فى ميدان الدعوة الى الله ، فسارع عندئذ الى الجهاد فى ميدان السلاح

والكفاح ، وبعد فتح مكة أرسله الرسول عليه الصلاة والسلام الى صنم « ذى الكفين » فذهب واحرقه ، وجعل يقول :

ياذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أكبر من ميلادكا
انا حشونا النار فى فؤادكا

وظل الطفيل على هذا الجهاد بعد وفاة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، واشترك فى المعارك التى دارت بأرض نجد للقضاء على فتنة الردة الخبيثة ، ولتثبيت دين الله فى أرض الله ..

ثم اشترك فى معركة « اليمامة » بعد أن رأى فى النوم - كما تذكر السيرة - أنه قد حلق رأسه ، وأن طائرا خرج من فمه ، وأن امرأة أدخلته فى رحمها .

فأول هذه الرؤيا لنفسه - كما تحدث - بأن حلق رأسه اشارة الى قطعه فى الحرب ، وأن الطائر اشارة الى خروج روحه ، وأن المرأة التى ضمته الى رحمها اشارة الى الارض التى يضمه ثراها .

وكذلك كان ...

ظل الطفيل يجاهد حتى سقط شهيدا فى معركة اليمامة ، وقطعوا رأسه ، وصعدت روحه الى بارئها . تزكى عمله وتشهد له ، وضمت الارض أشلاء ذلك المجاهد الشهيد ذى النور ، عليه من ربه تبارك وتعالى سحائب الرضوان .

المجاهد بن المهاجرة

شرحبيل بن حسنة

ما زال كثير منا يخجلون من ذكر أسماء الأمهات والبنات ، ولعل ذلك كان نتيجة لعزل المرأة المسلمة عن اسهامها الطهور فى الحياة الاجتماعية بعقلها وفضلها ، ولعل ذلك أيضا كان استصحابا للخوف على المرأة من تعرضها لمواقف يخشى منها على عرضها وسمعتها .

وقد بلغ هـذا الخوف مداه حينما تعرض المجتمع الاسلامى فى بعض مراحله لغزوات غاشمة لم تقتصر على غصب الارض ، بل بلغت غصب العرض .

وقديما ـ وفى صدر الاسلام ـ كانت المرأة المؤمنة ذات مكانة وفطانة ، وصاحبة سمو وعلو ، وكان الرجل يفخر حين ينتسب الى امه ، ويذكر اسمها فى اجلال واعزاز قائلا : أنا ابن فلانة ، لانها شريفة عفيفة ، خيرة طاهرة .

ولقد ازدان تاريخ الاسلام مثلا بالحديث العاطر الباهر عن نساء البيت النبوى الكريم ، فذكر لنا اسم ام النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسماء زوجات النبى امهات المؤمنين ، واسماء بنات النبى ، واسماء عمات النبى ، وهكذا ... وسيظل هذا الحديث على الدوام

مصدرا من مصادر التربية والتوجيه للمرأة المسلمة على مر العصور .

وهـــذا رجل من تلاميــذ سيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام ، وكان أبوه معروفا مشهورا ، ولــكن هــذا التلميــذ المحمدى لم يشتهر بنسبته الى أبيه ، بل اشتهر بين الصحابة وفى التاريخ بنسبته الى أمه ، لأن أمه رضى الله عنها كانت مثلا طيبــا للمرأة المؤمنة المعتزة بالله ، المهاجرة فى سبيل الله :

ولو كان النســـاء كمثل هـــذى
لفضلت النســــاء على الرجال

ذلكم الرجل هو الصحابى المجاهد ، والمناضل القائد ، أبو عبد الله شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف الــكندى . وقد جاء فى كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه أنه : شرحبيل بن عبد العزى ، الذى يقال له شرحبيل بن حسنة ، من بنى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ، وفيهم كانت الاجازة فى الجاهليـــة ، وكانوا يدفعون بالناس فى عرفات (١) .

و « حسنة » هى أمه ، نسب اليها وغلب ذلك عليه ، كما يقول ابن كثير (٢) .

وقد أسلمت بمكة قديما ، فهى من الســـابقات الى الاسلام ، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهى من المعاهدات الوفيات ، وهاجرت الى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية مع ابنها شرحبيل ، ثم هاجرت أيضا الى المدينة (٣) ، فهى من أصحاب الهجرتين .

---

(١) العقد الفريد ، ج ٣ ص ٩٣ طبعة المطبعة التجارية ، تحقيق العريان .

(٢) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٩٣ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٨ ص ٢١٠ . وقيل انها تبنته =

وقد أسلم شرحبيل ايضا قديما كامه ، فهو من السابقين الى الاسلام ، واسلم معه أخواه لأمه : جنادة وجابر . وهاجروا مع امهم الى الحبشة ، ثم الى المدينة. ويقول ابن سعد أن أخويه اللذين هاجرا معه هما : خالد وجنادة .

وقد روى شرحبيل بعض الاحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام . جاء عنه فى « الاصابة » هذه العبارة : « وله رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ابن ماجه ، وعن عبادة بن الصامت ، روى عنه ابناه وربيعة وعبد الرحمن بن غنم وأبو عبد الله الأشعرى » (١) .

وكان شرحبيل معدودا فى وجوه قريش كما يذكر ابن عبد البر فى « الاستيعاب » ، وكان أحد عشرة من الكتاب ، هم الاشراف الذين كتبوا للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وهم : على وعمر وعثمان ، وخالد بن سعيد بن العاص واخوه ابان ، وعمرو بن العاص ، وزيد ابن ثابت ، والعلاء بن الحضرمى ، ومعاوية ، وشرحبيل (٢) .

وكان شرحبيل « من علية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغزا معه غزوات » (٣) .

ويروى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أوفده الى مصر فى مهمة ، وظل شرحبيل فى هذه المهمة حتى

= هو واخاه عبد الرحمن (انظر التحفة اللطيفة ، ج ٢ ص ٢١٧ فى الهامش) ولكن الصحيح انها امه ، والمراجع الكثيرة تنص على ذلك . انظر الطبقات ج ٤ ص ٩٤ القسم الاول ، وكذلك ج ٧ ص ١١٨ .

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٤ ص ١٤١ .

(٢) العقد الفريد ، ج ٤ ص ٢٥٤ طبعة المطبعة التجارية .

(٣) ابن سعد فى الطبقات ، ج ٤ ص ٩٤ ، القسم الاول .

توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام (١) .

*****

وجاء الصديق أبو بكر رضى الله عنه الى الخلافة ، وفاجأته فتنـة « الردة » على الطريق ، وكان لابد من القضاء عليها وهى فى مهدها ، قبل أن تدمر المجتمع الذى قام على الايمان والوحدة .

واختار أبو بكر شرحبيل بن حسنة ليكون من مجاهدى هذه الحرب مع خالد بن الوليد ، ثم جعله أحد الامراء الاربعة الذين وجههم الى الشام فى السنة الثالثة عشرة، وكان الامراء الاربعة هم : عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى سفيان ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وشرحبيل ابن حسنة (٢) .

وخطب أبو بكر فيهم خطبة حث فيها على الجهاد ، وقال فيهـا بعد أن أثنى على الله تبارك وتعالى بما هو أهله : « ألا أن لـكل أمر جوامع ، فمن بلغهـا فهى حسبه ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد ، فان القصد أبلغ ، ألا انه لا دين لأحد لا ايمان له ، ولا ايمان لمن لا خشية له ، ولا عمل لمن لانية له ، ألا وان فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله لما ينبغى للمسلم أن يحب أن يخص به ، هى النجاة التى دل الله عليها ، اذ نجى بها من الخزى ، وألحق بها من الـكرامة » (٣) .

وكان شرحبيل بن حسنة فى هـذه الحروب أميرا لفلسطين ــ أين اليوم فلسـطين ياجموع العرب

(١) الاعلام للزركلى ، ج ٣ ص ٢٣٤ الطبعة الثانية .
(٢) انظر العبر ، ج ١ ص ١٥ و ٢٢ والبداية والنهاية ، ج ٧ ص ٩٣ والطبقات ، ج ٤ ص ٩٤ القسم الاول .
(٣) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٣ .

والمسلمين ؟ ..

وقد افتتح شرحبيل ببطولته بلاد الاردن كلها عنوةً ، ماخلا طبرية ، فان أهلها صالحوه (١) ، واشترك شرحبيل فى فتح دمشق عاصمة الشام ، وفى موقعة أجنادين ، وفتح كذلك بلدة « قدس » ــ بفتحتين ــ وهى موضع بالشام يقول عنه ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » انه « بلد بالشام قرب حمص ، من فتوح شرحبيل بن حسنة ، واليه تضاف بحيرة قدس » ، وهى أيضا قرب حمص ، بين حمص وجبل لبنان ، تنصب اليها مياه تلك الجبال ، ثم تخرج منها ، فتصير نهرا عظيما ، هو « نهر العاصى » الذى تقع عليه مدينة حماة ومدينة شيزر .

***

ومضى أبو بكر رضى الله عنه الى ربه ، وجاء عمر الفاروق رضى الله عنه ، فواصل الخليفة استعانته بقيادة البطل المناضل شرحبيل بن حسنة ، ثم ولاه قائدا على « المدائن » (٢) .

وكان هذا تدليل على ان الاعلام العمالقة من صحابة سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا أصحاب كفايات متعددة متنوعة ، فهم يزينون المحاريب بتعبدهم وتقواهم وصلاحهم ، وهم يزينون ساحات النضال بشجاعتهم وبطولاتهم ، وهم يضربون فى ميدان البناء والتعمير بسهامهم ، وهم يعطون القدوة الصالحة فى العدل بين الناس ، والبصر بدخائل الامور .

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥ .
(٢) معجم البلدان . ج ٤ ص ٣١١ و ج ١ ص ٣٥٢ . طبعة بيروت .

واذا كنا نرى بطلنا شرحبيل بن حسنة يتولى منصب القضاء فى « المدائن » ، فاننا نتذكر فى الوقت نفسه ما ذكره السلف من أن القاضى يكون صالحا للقضاء اذا كان فيه خمس خصال : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالائمة ، ومشاورة اهل الراى (١) .

***

ومن الطرائف التى نتذكرها فى سيرة البطل الفاتح شرحبيل بن حسنة حينما كان فى الحبشة ، أن أم المؤمنين أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) رضوان الله تبارك وتعالى عليها ، كانت من السابقين الى الاسلام ، وهاجرت الى الحبشة فى سبيل الله مع زوجها عبيد الله ابن جحش ، فمات زوجها هناك ، فى دارالهجرة والغربة، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فى الحبشة سنة ست للهجرة ، وأمهرها النجاشى أربعة آلاف درهم (أو أربعمائة دينار) ، وأرسلها معززة مكرمة فى صحبة البطل شرحبيل بن حسنة .

وكأن أم المؤمنين قد أرادت أن تكافئه على ما شهدت من عمق ايمانه ونبل أخلاقه ، فوهبته دارا كانت لها فى المدينة ، ومن حسن الحظ لهذه الدار ، وحظ صاحبها ، أن الخليفة المهدى العباسى ، اشترى جانبا من هذه الدار سنة مائة واحدى وستين ، وادخلها فى ساحة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة (٢) .

---

(١) عيون الاخبار ، ج ١ ص ٦٠ بالهامش نقلا عن العقد الفريد .

(٢) التحفة اللطيفة للسخاوى ، ج ٢ ص ٢٧١ .

وظل بطلنا الفدائى شرحبيل بن حسنة مناضلا مقاتلا، مجاهدا عابدا ، حتى السنة الثامنة عشرة للهجرة حيث فشا طاعون « عمواس » ، وعمواس — بكسر ففتح ، أو بفتحتين — كورة من فلسطين بقرب بيت المقدس — رد الله فلسطين على العرب والمسلمين — قال ياقوت عنها انها على بعد ستة أميال من « الرملة » على طريق بيت المقدس ، ومنها كان ابتداء الطاعون فى عهد عمر رضى الله عنه ، ثم فشا فى أرض الشام ، فمات فيه خلق كثير لايحصى من الصحابة رضوان الله عليهم ومن غيرهم ، قيل مات فيه خمسة وعشرون ألفا من المسلمين (١) .

وكان ممن أصيب بطاعون عمواس البطل القائد شرحبيل بن حسنة ، حيث لقى ربه شهيدا ، واستشهد معه بالطاعون فى يوم واحد : أبو عبيدة بن الجراح ، وابو مالك الاشعرى .

وكان لشرحبيل يوم وفاته من العمر سبع وستون سنة .

رضوان الله تبارك وتعالى على الجميع .

***

ارايت ؟ ..

ان والد شرحبيل هو عبد الله بن المطاع بن الفطريف الكندى ، ولكن شرحبيل لم يعرفه التاريخ بأبيه ، وانما عرفه باسم أمه « حسنة » التى كانت لها صحبة، وكانت لها هجرة ، فحفظ التاريخ لنا اسمها بين نساء الاسلام الخالدات ، وحفظ لنا اسمها اما للبطل شرحبيل ابن حسنة الذى لا يكاد يذكره التاريخ مضافا الى غير اسمها رضوان الله تبارك وتعالى عليها .

(١) معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٥٨ . بيروت .

ارأيت ؟ ..

فى صدر الاسلام خرج الرجال والرجال ، وفى صدر الاسلام خرجت النساء الابطال ، وفى صـــدر الاسلام لم يروا غضاضة فى نسبة البطل الى والدته .

وفى صـــدر الاســـلام كان الشعار : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » .

وما زال الشـــعار قائما وباقيا ، فهل له اليوم من انصار ؟ ..

الداعية الشهيد

مصعب بن عمير

ما أعظم ما يصنعه الايمان فى النفوس . كأنه يخلقها خلقا جديدا ، ويصوغها صوغا مجيدا .

ولقد يكون الانسان لاهيا غافلا ، تشغله الملذات ، وتسيطر عليه الشهوات ، فاذا انبثق نور الايمان فى قلبه، محصه بنار التطهير ، واضاءه بأشعة الهدى ، فيمضى على طريقه طائعا نافعا ، مكافحا ناجحا ، ينسى كل شاغل له عن دينه ، ويحيا مجندا لايمانه ويقينه ، حتى يلقى ربه تبارك وتعالى مرفوع الهامة موفور الكرامة ، فاذا اللقاء العظيم والثواب الجزيل ، عند من لا يضيع أجر من احسن عملا : « وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

ومن هذا الطراز النبيل : الصحابى الجليل، ابوعبدالله مصعب بن عمير ، الذى نستطيع أن نقول عنه انه أول مبعوث فى الاسلام للدعوة الى الله ، وأول سفير لرسول الله عليه الصلاة والسلام .

وهو من فضلاء الصحابة وأخيارهم ، ومن الذين بكروا فى السبق الى الدخول فى دين الله عز وجل . ولقد كان فى أول أمره منعما مترفا مدللا ، وكان أروع الفتيان

بمكة شبابا وبهاء ، وكانت أمه تحبه كثيرا ، وكان يحبها كثيرا ، وكانت تكسوه أحسن ما يكون من الثياب فى مكة ، حتى قال فيه الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما رأيت بمكة أحسن لمة (١) ، ولا أرق حلة ، ولا انعم نعمة ، من مصعب بن عمير » .

ولكن مصعبا كان — مع هذا — متفتح العقل منذ صباه ، فما كاد يسمع عن ظهور الاسلام حتى أقبل يستطلع أنباءه ، ويستوعب أخباره ، وسرعان ماجذبته الدعوة الصادقة المشرقة الى حماها ، فذهب الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وأعلن اسلامه .

وفرح الرسول باسلامه ، ولمس صدر مصعب بيده الشريفة ، فكأنما ثبت بهذه اللمسة قواعد الايمان فى صدر مصعب ، فغدا وطيد الايمان ، راسخ اليقين ، وكأنما قد أعيد تكوينه وتركيبه ، فلا ترف ولا سرف ، ولا تدلل ولا تحلل ، بل همة وعزيمة ، واستقامة وانابة.

وتروى السيرة العاطرة أنه حينما علمت أمه باسلامه — وكانت كافرة — غضبت وثارت ، واستعانت ببعض اهلها حتى حبست مصعبا ، وأغلقت عليه الابواب ، وجعلوا يحرضونه على ترك دينه ، والعودة الى الشرك دين الآباء والأجداد ، وهو يرفض — فى اباء وشمم ، وعزم وتصميم — أن ينقلب على وجهه من الهداية والاسلام ، الى الكفر والضلال ، وكأنه كان يتذكر قول الله تعالى:

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

وظل مصعب كذلك مدة طويلة ، ثم سمع وهو فى

(١) يعنى شعر رأسه .

سجنه أن فريقا من المسلمين قد هاجروا الى الحبشة ، بسبب ما نالهم من تعذيب على ايدى المشركين المجرمين، فاحتال مصعب حتى هرب ، وهاجر مع المهاجرين الى الحبشة ، وبعد حين رجع معهم ، حينما ظنوا ان الطغاة قد انصرفوا عن بغيهم ، ثم عاد فهاجر الى الحبشة ثانية حينما رأى ان الطغاة ما زالوا هم الطغاة ، ثم عاد فرجع منها ، ثم عاد فهاجر الى المدينة حين فكر فى الهجرة اليها سيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام ، ولذلك يستحق مصعب أن يقال له : ابو الهجرات الثلاث.

***

ويا عجبا كل العجب ...

لقد بدل الايمان أمر مصعب كله ..

ان الفتى المختال المعطار، المدلل المترف فى صباه ونشأته ، قد أصبح شيئا آخر .

انه صار - وقد أسلم - يحس بتبعاته ، ويفى لواجباته ، ويألف حياة الخشونة والاحتمال ، ويعرض عن مظاهر الراحة والرفاهية ، ويلبس الثياب المرقعة ، ويكتفى بالقليل منها .

واخذ الصحابة يعجبون حين يقارنون بين ماضيه المنعم وحاضره المجاهد ، ويتأثر بعضهم حين يرونه يقسو على نفسه ويشتد فى ذلك ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم يزيل عجبهم ، ويخفف تأثرهم حين يقول لهم : « لقد رأيت مصعبا هذا ، وما بمكة فتى انعم عند ابويه منه ، ثم ترك ذلك كله حبا لله ولرسوله » .

وهكذا يكون الشباب الطاهر الناشىء فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

***

وحينما تمت بيعة العقبة بين رسول الله عليه الصلاة

والسلام وطلائع المؤمنين من اهل المدينة المنورة ، اختار الرسول مصعبا ليكون مبعوثه الاول الى المدينة ، وسفيرا له فيها ، يعلم المسلمين مبادىء الدين وتعاليم الاسلام، ويقرئهم القرآن الكريم ، ويدعو الى صراط الله العزيز الحميد من لم يدخل فى الاسلام ، ولذلك سموه : « القارىء المقرىء » .

وبهذا كان مصعب أول من قدم على الانصار من المهاجرين ، ويقال انه أول من جمع الجمعة بالمدينة ، ويروى فى تعليل ذلك انه كان الهاما من الله تعالى قبل ان يؤمر المسلمون بصلاة الجمعة . ثم نزلت سورة الجمعة فى المدينة ، وجاء فيها قول الله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين » .

واستطاع مصعب بسمته وحكمته ، وبراعته فى الدعوة ، والاهتداء بهدى الله تعالى الذى يقول :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

استطاع بهذا الهدى الحكيم الرزين الهادىء أن يجذب الكثيرين الى صراط ربه ، فأسلم خلق كثير من الناس على يديه . ومن امثلة براعته فى الدعوة أن « أسيد بن حضير » كان مشركا ، وغاظه تبشير مصعب بالاسلام ، فأقبل على مصعب ثائرا مندفعا ، وفى يده

حربة يريد أن يطعن بها مصعبا ان لم يترك الدعوة الى هذا الدين الجديد .

ورآه مصعب فلم يخف ولم يضطرب ، بل قال لأسيد بكل هدوء :

« الا تجلس فتسمع ، فان رضيت أمرا قبلته ، وان كرهته كففنا عنك ما تكره » .

فلم يسع أسيدا الا ان يقول مجيبا : انصفت .

وجلس ، فأخذ مصعب يتلو عليه من القرآن ، ويجيد له البيان ، فانشرح صدر أسيد للايمان ، وقال لمصعب : « ما أحسن هذا القول واصدقه . كيف يصنع من يريد أن يدخل هذا الدين » ؟..

فأرشده مصعب ، واسلم أسيد .

وبهذا انضم بطل جديد الى موكب الدعوة الرشيدة، وزاد عدد المؤمنين المناضلين ، الذين يحبون جد الحياة وصرامة الجهاد .

***

وينبغى أن نتذكر أن مصعب بن عمير يلتقى والنبى صلى الله عليه وسلم فى النسب : فى الجد الرابع ، لأنه مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصى بن كلاب بن مرة القرشى ، وأن مصعب بن عمير كان متزوجا من سيدة فاضلة تسمى « حمنة » ، وهى اخت السيدة « زينب » زوجة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واحدى أمهات المؤمنين .

ومع ذلك لم يتكل مصعب على هذا العلو فى النسب ، ولا على هذا الشرف فى المصاهرة ، بل ايقن دائما ان اى انسان لا يغنيه حسب ولا نسب عن الطاعة والعمل ، وكأنه كان يتذكر على الدوام قول ربه تبارك وتعالى :

« وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

وقوله عز من قائل : « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « يا آل محمد ، لا يأتيني الناس بالاعمال ، وتأتوني بالانساب ، اعملوا فاني لا أغني عنكم من الله شيئا » ! ..

ولذلك عمل مصعب ، وداوم على العمل ، واستمر يفعل الخير ، حتى كان يقال له : « مصعب الخير » ! ..

***

ولقد شهد مصعب غزوة بدر ، وكان بيده اللواء ، وشهد غزوة أحد ، وكان بيده اللواء ، وحينما اشتد الهول ، وضعف من ضعف يوم أحد ، ثبت مصعب مع من ثبت ، وأخذ يجأر بالتكبير (١) ، حاملا اللواء باحدى يديه ، طاعنا بيده الاخرى .

وتكاثر عليه الاثمة الفجرة من الكافرين المشركين ، وضربه أحدهم بالسيف على يده اليمنى فقطعها ، فهتف مصعب قائلا : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .

وتناول اللواء بيده اليسرى ، فجاءتها طعنة فقطعتها ، فاحتضن مصعب اللواء بصدره ، وهو يعيد قوله : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .

وجاءته طعنة اخرى فسقط اللواء ، وهوى مصعب شهيدا .

وبحثوا عن شيء يلفونه به ، فلم يجدوا غير بردة اذا وضعوها على راسه تعرت رجلاه ، واذا وضعوها على رجليه تعرى راسه ، فقال لهم الرسول صلى الله

---

(١) يرفع صوته بكلمة : « الله أكبر » .

عليه وسلم :

« اجعلوها مما يلى رأسه ، واجعلوا على رجليه نبات الاذخر » (١) .

ثم تلا النبى صلوات الله وسلامه عليه قول ربه تعالى:
« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه (٢) ، ومنهم من ينتظر ، ومابدلوا تبديلا » .

ثم قال يخاطب مصعبا :

« لقد رأيتك بمكة ، وما بها أحد أرق حلة ، ولا أحسن لمة منك ، ثم ها أنت شعث الرأس فى بردة » .

ثم قال عنه وعن أمثاله :

« ان رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة » .

ثم قال للأحياء من حوله :

« أيها الناس ، زوروهم ، وأتوهم ، وسلموا عليهم ، فوالذى نفس محمد بيده ، لا يسلم عليهم مسلم الى يوم القيامة الا ردوا عليه السلام » .

وهذا هو خباب بن الارت ، وهو سادس من دخلوا فى الاسلام ، يتحدث عن مصعب بعد استشهاده ، فيقول :

« هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله تعالى ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مات ولم يأكل من عمله شيئا ، منهم مصعب بن عمير » . رضوان الله تعالى عليه .

***

هكذا يصنع الايمان ، وهكذا يعيد اليقين بناء الانسان،

---

(١) الاذخر : نبات طيب الرائحة .
(٢) قضى نحبه : وفى بنذره ، فمات شهيدا فى سبيل الله .

وبهذا اليقين الراسخ الصابر المجاهد المحتسب الحريص على الشهادة ، عزت القلة المؤمنة ، وتغلبت على الكثرة الباغية ، فكان محمد وصـــــحبه خير قدوة تحتذى وترتجى ، فليت الاخلاف ينهجون نهج الاســــلاف ، لينال اللاحقون ما ناله السابقون من تأييد وتـكريم .

وصـــــدق الله العظيم : « وكأى من نبى قاتل معه ربيون (١) كثير ، فما وهنوا لمـا أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيـا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

(١) ربيون : علماء فقهاء ، أو جموع كثيرة .

شهيد من الأوفياء

شجاع بن وهب الأسدى

ان الله جل جلاله يتحدث الينا فى قرآنه عن يوم لقائه فى عالم البقاء والخلد ، فيقول سبحانه :

« الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ، يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، الذين آمنوا وكانوا مسلمين ، ادخلوا الجنة أنتم وازواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » .

(سورة الزخرف ٦٧ — ٧٣)

والاخلاء هم الاصدقاء . ومن هذا البيان الالهى المعجز نفهم أن الاصدقاء الذين يجتمعون على الشر والضلال ، أو يرتبطون بروابط الرذائل والمآثم ، أو يلفهم زمام الشهوات والملذات ، لا تدوم لهم صداقة ، ولا يبقى لهم وفاء ، لان الملذات مصيرها الى انتهاء وفناء ، ولذلك تنتهى صداقتهم أو تنقلب الى عداء .

واما المؤمنون المتقون ، الذين يتصادقون على الحق والفضيلة والايمان ، فان صداقتهم تبقى فى الدنيا

والآخرة ، ويتلقاهم ربهم فى اليوم الآخر بتكريمه ونعيمه، فيقول لهم كما جاء فى الحديث القدسى : « اين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى ، يوم لا ظل الا ظلى » .

ولعل هذا هو السر فى قول امام البشرية وسيد الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم : « من أحب لله ، وابغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان » .

ولقد شهد صدر الاسلام أعلاما تكوكبوا حول رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لم يجمعهم غرض من اغراض الدنيا ، ولا مرض من أمراض النفوس ، ولا شهوة من شهوات الحياة ، وانما جمعهم جامع الايمان واليقين ، والحب فى الله تبارك وتعالى ، فعزت وحدتهم، وعلت كلمتهم ، وبقيت صداقاتهم ، حتى لاقوا ربهم كراما عظاما : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

***

وهذه لمحة عابرة من سيرة عاطرة لواحد من هؤلاء :

انه الصحابى الجليل ، المجاهد الشهيد : أبو وهب شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدى ، الذى كان من السابقين الاولين ، والذى أخلص المحبة لله ولرسوله ولسائر المؤمنين ، وقد احتمل الاذى فى سبيل ربه ، حتى اضطر أن يهاجر الى الحبشة ، وهاجر مع شقيقه وصديقه ورفيقه « عقبة بن وهب الاسدى » الذى كان يرد على اليهود مزاعمهم دون خوف ، فحينما قال هؤلاء المفترون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وانكروا رسالة النبى ، صلوات الله وسلامه عليه ، قال لهم عقبة ومعه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة :

يا معشر يهود ، أتقوا الله ، فوالله انكم لتعلمون أن محمدا رسول الله .

ولقد أشار القرآن الكريم الى هذا الافتراء ، فقال في سورة المائدة : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير » .

ويقول في سورة البقرة : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » .

ثم شهد عقبة مع أخيه الغزوات والمشاهد ، ونال عقبة نعمة الشهادة يوم خيبر ، حيث قتله أحد هؤلاء اليهود اللئام (١) ، والشهادة نعمة يتعاقب عليها أبناء الاسلام تباعا ، ويمضون اليها : مجاهدا وراء مجاهد ، وشهيدا خلف شهيد .

ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين بطلنا شجاع بن وهب وأوس بن خولى ، وكأن هذه المؤاخاة النبوية الكريمة القائمة على الايمان والحب في الله بين المهاجرين والانصار ، كانت لونا من ألوان الجمع العجيب بين الاشباه والنظائر ، وكأنها تحقيق لقول النبى : « الارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ولذلك تشابهت مسيرة الأخ وأخيه في الاسلام .

فاذا كان شجاع بن وهب قد شهد غزوات بدر ، واحد ، والخندق ، وسائر المشاهد مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فقد زامله في ذلك اخوه في

(١) كتاب الثمرة البهية في الصحابة البدرية ، ص ٢٨ .

الله والايمان « أوس بن خولى » الذى كان يقال له : « احد الكملة » ، ولما توفى النبى عليه الصلاة والسلام وأراد الانصار أن يحضروا غسله ودفنه ، قالوا للمهاجرين : « الله الله فانا أخواله ، فليحضره بعضنا ».

اى ندكركم الله فى حقنا لكى نشهد تجهيز الرسول ، فلنا نصيب فى ذلك ، لاننا أخواله صلى الله عليه وسلم.

فقيل لهم : فاجتمعوا على رجل منكم (اى اتفقوا على ممثل لكم ينوب فى ذلك عنكم) .

فاختاروا ممثلا لهم هو « أوس بن خولى» رضوان الله عليه ، فحضر أوس غسل الرسول الكريم ، وكان احد أربعة نزلوا قبره الشريف الطاهر .

***

وكان شجاع بن وهب رجلا نحيفا طويل القامة ، فى ظهره شيء من الميل والتقوس ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يكون الفارس المقدام فى سبيل الاسلام ، ولذلك كان من أمراء السرايا الاعلام ، تلك السرايا التى كانت معارض للبطولات الفدائية ، ومواقف للتضحية والبذل .

ولقد اختاره الرسول صلوات الله وسلامه عليه عدة مرات ، ليكون أميرا ، وقائدا لفرق فدائية مضحية مكونة من شباب الاسلام ، فهاجم بهم المشركين فى وقائع كثيرة ، ومن بينها سرية قادها « شجاع » وكانت تضم أربعة وعشرين مجاهدا فدائيا ، وكان من بينهم الصحابى العلم « عبد الله بن عمر» ، وهاجمت هذه السرية قبيلة هوازن الضخمة المتجبرة حينئذ ، وقد جاء فى الطبقات الكبرى لابن سعد أن هوازن كانت تقيم فى «السى» من أرض بنى عامر ، ناحية « ركية » ، وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الاول سنة ثمان من الهجرة ، و « السّى » ــ بكسر السين وتشديد الياء ــ على خمس

ليال من المدينة .

وكان الهجوم فى وقت مبكر ، وفى سرية تامة ، وبحركة سريعة خاطفة ، حتى يعبر عن ذلك الامام ابن كثير فى كتابه « السيرة النبوية » فيقول : « وكان يسير الليل ، ويكمن النهار ، حتى صبحهم وهم غافلون » (١)

واستطاع هؤلاء النفر القليل أن يهزموا هوازن ، وأن يؤدبوهم أوجع تأديب ، واستولوا منهم على غنائم كثيرة ، عادوا بها كلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكر لهم هذا الصنع البطولى الذى قدموه من أجل الاسلام .

وكذلك أرسل النبى عليه الصلاة والسلام شجاعا البطل المقدام الى الحارث بن أبى شمر الغسانى ، أحد الكبار المتسلطين فى غوطة دمشق حينئذ ، وأمره النبى أن يعرض الاسلام على الحارث ، فأدى شجاع الرسالة باذلا كل ما استطاع فى سبيل غرضه .

واذا كان الحارث لم يسلم على يد شجاع فان ذلك لايضيره ، فقد أدى واجبه ، ولكن الامور بمواقيتها ، وفوق تدبيرنا لله تدبير ، وعلى المرء أن يسعى ، وليس عليه ادراك النجاح .

وحينما يئس شجاع من اسلام « الحارث » على يديه ، اراد أن يغرس نبتة من نبات الاسلام فى بيئة الحارث واقليمه ، رجاء أن تكبر النبتة غدا ، فتصير شجرة طيبة مباركة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، فيتجمع الناس تحت ظلها باسم الاسلام ، والاستجابة لدعوة الله العلى الكبير .

وتمثلت هذه النبتة فى اسلام حاجب الحارث

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٤٥٣ .

ومساعده الذى كان اسلامه على يد شجاع بن وهب ، وكتب الحاجب واسمه « مرى » خطابا كريما الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يقرئه فيه التحية ، ويخبره بأنه قد أصبح على دينه ، وحينما بلغ الخطاب مسمع النبى قال عنه : صدق .

وكذلك يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث شجاع بن وهب الى جبلة بن الايهم الغسانى (١) .

***

ودارت الايام والاعوام ، ودار معها المسلمون الاوفياء الذى تحابوا فى الله ، وتزاملوا فى الاسلام ، وتصادقوا على الحق ، وتعاهدوا على الجهاد ، وساروا هنا وهناك مناضلين مقاتلين ، ليرفعوا لواء الدعوة الهادية المنقذة بين الناس ، وشجاع يتنقل من ميدان الى ميدان ، مع رفقاء السلاح وزملاء الجهاد .

واقبلت معركة « اليمامة » الطاحنة ، التى رأينا فيها مئات من أحباب الله تعالى ورسوله ، يتلاقون فى ساحة المعركة ، ليتساقطوا شهيدا وراء شهيد ، وكأنهم ارادوا الا تطول بين بعضهم وبعض مدة الفراق ، فتلاحقوا ليتلاقوا هناك احبة أوفياء فى نعيم رحمن الدنيا والآخرة ، وقيوم السموات والارض : « ان المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وكان شجاع بن وهب احد هؤلاء الشهداء ، وقد قارب الستين من عمره .

رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

***

ان الله جل جلاله يقول :

---

(١) كتاب المحبر ، ص ٧٦ .

« ويوم يعض الظالم على يديه يقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا، لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى ، وكان الشيطان للانسان خذولا » . فلنحذر صداقة أهل الشيطان ، ولنستمسك بصداقة عباد الرحمن ، ولتجمعنا ساحة العمل الطيب المشترك الموحد ، من أجل عزتنا وكرامتنا وحريتنا ، حتى نعيش كرماء ، أو نموت شرفاء .

ولنتذكر على الدوام قول الله جل جلاله :

« الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون » .

صدق الله العلى العظيم .

المجاهد التائب

رافع بن عميرة الطائي

اذا أراد الله تعالى بانسان خيرا أخذ بيده ، فأنقذه من ظلمات الحيرة والضلال والباطل ، وأقامه على صراط الحق والهداية والنور ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

ولقد يستذل الشيطان انسانا فيرديه فى المهالك ، ويغرقه فى طوفان الاثم ، ويطول الزمن بهذا الانسان أو يعتدل أو يقصر ، ثم تتحرك فى أعماقه نزعة الفطرة الالهية ، وتضىء فى صدره شعلة الهداية الربانية ، فاذا هو ترجف أعضاؤه من حديث ربه اليه معاتبا محاسبا : « يا أيها الانسان ، ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » .

واذا هو يرتفع بنفسه من حضيض الاثم والمعصية الى محراب الطاعة والفضيلة ، واذا هو يعمر عقله وقلبه ، بزاد فهمه الواعى لقول ربه جل جلاله : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولو عدنا الى مشرق الاسلام لوجدنا أناسا أغواهم

الشيطان حينا او احيانا ، فاسرفوا على انفسهم وعلى غيرهم ، وتنكروا لانسانيتهم ، وغفلوا عن رسالتهم ، ثم تهيات لكل منهم لحظة ادكار واعتبار ، فاذا هم يفيئون الى الحق بعد أن رافقوا الباطل ، ويستضيئون بالنور بعد ان طال تخبطهم فى الظلام ، ويلتزمون طريق الجهاد والنضال ، والفداء ، فى يقين واخلاص ووفاء ، واذا الواحد منهم يستقيم ويستقيم ، داعيا ربه فى اخلاص : « ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا فى امرنا ، وثبت اقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين »

من هؤلاء الصحابى الجليل ، المجاهد العابد ، المقاتل المناضل ، ابو الحسن رافع بن عميرة (١) بن جابر بن حارثة الطائى السنبسي ، وقد روت بعض المصادر انه كان صحابيا ، وروى بعض آخر منها انه كان من التابعين (٢) .

وكان يقال له فى مجتمع الاسلام : « رافع الخير » لكثرة سعيه فى الخير ، وتقديمه للبر ، بعد أن شرح الله تعالى صدره لكلمة الايمان ، ولكن هذا المسلم الكثير الطاعات المبادر الى الخيرات ، كان فى جاهليته لصا ، يسطو على الناس ، فينهب اموالهم ، ويغتصب امتعتهم

وكان يتخذ من الصحراء وشعابها وهضابها ميدانا

---

(١) فى الاصابة : « ويقال له رافع بن ابى رافع » ج ١ ص ٤٨٥ ، وفيها أيضا انه اختلف فى اسم أبيه ، فقيل : رافع بن عمرو بن جابر بن حارثة . وقيل رافع بن عميرة . وفى الاستيعاب ان اسم ابيه مختلف فيه . قيل : رافع بن عمرو ، وقيل : رافع بن عمير . وقيل رافع بن عميرة ، ج ١ ص ٤٨٥ على هامش الاصابة ، فالشخص واحد والاسماء متعددة .

(٢) قال ابن سعد انه لم ير النبى صلى الله عليه وسلم ، وعده بعضهم فى التابعين « المرجع السابق » .

لسرقاته وعدوانه على المسافرين والمنقطعين ، وكان يقضى الوقت الطويل فى الصحراء انتظارا لفريسته ، ولذلك كان يعمد الى بيض النعام الضخم ، ويفرغه من داخله ببراعة ، ثم يملأ البيض بالماء ويحكم سده ، ويخبئه فى اماكن خفية يميزها بعلامات مستورة ، فاذا ظمىء او احتاج الى الماء وهو فى الصحراء ، عمد الى هذا البيض المملوء بالماء فانتفع به .

وذات يوم راى رافع ذئبا فى الفلاة يعوى بأصوات متوالية ، فكان عواء الذئب سببا فى أن يستغرق رافع فى تفكير عميق ، غرب به وشرق ، حتى قيل ـ فيما يزعمون ـ ان الذئب كلم رافعا ، ودعاه الى الدخول فى الاسلام ، ومتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونسبوا اليه فيما يزعمون شعرا قال فيه ضمن ماقال :

رعيت الضأن أحميها بكلبى
من الضب الخفى ، وكل ذيب
فلما أن سمعت الذئب نادى
يبشرنى بأحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبى
على الساقين قاصدة الركيب
فألفيت النبى يقول قولا
صدوقا ليس بالقول الكذوب
فبشرنى بدين الحق ، حتى
تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضياء يضىء حولى
امامى ان سعيت ومن جنوب (١)

---

(١) الاستيعاب على هامش الاصابة ، ج ١ ص ٤٨٥ . فى أبيات اكثر من هذه . وانظر الاصابة ج ١ ص ٤٨٥ .

والذى يهمنا هنا أن رافعا دخل فى دين الله تعالى ، وآمن برسوله صلى الله عليه وسلم ، واخذ يصوغ نفسه صياغة جديدة فى مدرسة الاسلام ومصنع الايمان، فلقد كان بالامس فى الجاهلية لصا يستبيح أموال الناس، ويسطو على ممتلكاتهم ، فتاب عن ذلك الجرم الشنيع، وابتعد عن طريقه .

ولم يكتف بذلك ، بل اخذ يعطى ويجود ، ويتطوع ويتبرع ، ويبسط مائدته للفقراء والضعفاء ، حتى روت السيرة أنه كان يغدى أهل ثلاثة مساجد ، ويسقيهم الحيس (١) . وكان رافع فى جاهليته يخبأ الماء فى بيض النعام ، ويدفنه فى الصحراء ليستعين به على ارتكاب جرائمه ، فلما أسلم شارك فى المعارك والغزوات ، وحينما يحتاج المسلمون المجاهدون الى ماء وهم فى الصحراء ، يسارع ويدلهم على ما خبأ من ماء ، ليشربوا منه ويستقوا .

وكان رافع بالامس يترف نفسه ، ويمتعها بالمال الحرام ، فأصبح فى الاسلام يعلمها التواضع ويحملها على الحرمان ، فيكتفى بقميص واحد للبيت وللجمعة (٢) وهو مع هذا يعطى العطاء الجزيل ، ويمنح المال الجليل ، وكأنه بهذا يكفر عما اقترفه فى جاهليته .

واستمر رافع بن عميرة يناضل ويناضل ، واشترك فى غزوة ذات السلاسل (٣) ، التى كانت قبيل فتح

---

(١) الحيس هو الطعام المتخذ من التمر واللبن والسمن ، وقد يجعل الدقيق بدل اللبن .

(٢) الاصابة ، ج ٢ ص ٤٨٦ .

(٣) بضم السين الاولى وكسر الثانية . وهى ماء بأرض جذام ، وبه سميت الغزوة . ويذكر ياقوت انها بلفظ جمع السلسلة . وقال ابن اسحاق : اسم الماء سلسل ، وبه سميت ذات السلاسل .

مكة ، وكان من خبرها ــ كما يروى ابن كثير ــ ان النبى عليه الصلاة والسلام بعث عمرو بن العاص اميرا فيها . فلما قرب عمرو من مكان الغزوة خاف من كثرة عدوه ، فبعث الى النبى يستمده ، فأرسل اليه أبا بكر وعمر ، وجماعة من سراة المهاجرين، وجعل أبا عبيدة أميرا عليهم .

فلما تلاقى عمرو وابو عبيدة قال عمرو : انا أميركم ، وانا ارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استمده بكم . فقال المهاجرون : بل انت أمير اصحابك ، وابو عبيدة امير المهاجرين . فقال عمرو فى اصرار : بل أنتم مدد امددته ! ..

فلما راى ابو عبيدة ذلك ــ وكان رجلا حسن الخلق لين الشكيمة ــ قال : ياعمرو ، ان آخر ماعهد الى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : اذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ، وانك ان عصيتنى لاطيعنك . وقد انتصر المسلمون فى هذه الغزوة .

ولقد حدث رافع عن نفسه فى هذه الغزوة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا ، فأمر عليهم عمرو بن العاص ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وأمرهم أن يستنفروا من مروا به ، فمروا علينا فاستنفرونا ، فنفرنا معهم فى غزوة ذات السلاسل ، وهى التى يفخر بها أهل الشام ، فيقولون : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر .

فقلت : والله لأختارن فى هذه الغزاة لنفسى رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أستهديه ، فانى لست أستطيع اتيان المدينة ، فاخترت ابا بكر ولم آل ... فلما قضينا غزاتنا قلت له : يا ابا بكر ، انى قد

صحبتك ، وان لى عليك حقا ، فعلمنى شيئا أنتفع به.
فقال : قد كنت اريد ذلك لو لم تقل لى : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتحج البيت ، وتصوم شهر رمضان، ولا تتأمر على رجلين (يعنى لا تقبل الامارة على غيرك).

قلت : اما العبادات فقد عرفتها ، ارايت نهيك لى عن الامارة ؟ وهل يصيب الناس الخير والشر الا بالامارة؟

فقال : انك استجهدتنى فجهدت لك ، ان النـاس دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها ، فأجارهم الله من الظلم ، فهم جيران الله ، وعواد الله ، وفى ذمة الله ، فمن يظلم منكم انما يحقر ربه ، والله ان أحدكم ليأخذ شويهة جاره او بعيره ، فيظل عمله بأسا بجاره ، والله من وراء جاره .
فلم يلبث الا قليلا حتى أتتنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألت : من استخلف بعده ؟
قيل : أبو بكر ..
قلت : اصاحبى الذى كان ينهانى عن الامارة ؟
فشددت على راحلتى فأتيت المدينة ، فجعلت اطلب خلوته ، حتى قدرت عليها ، فقلت : اتعرفنى ؟ انا فلان ابن فلان ، أتعرف وصية أوصيتنى بها ؟
قال : نعم ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض، والناس حديثو عهد بالجاهلية ، فخشيت أن يفتتنوا ، وان اصحابى حملونيها .
فما زال يعتذر الى حتى عذرته ، وصـار من امرى بعد أن صرت عريفا (اى رئيسا على غيرى) .
هكذا تحدث رافع بن عميرة رضى الله عنـه ، وهو حديث يدل على التواضع من جهة ، وعلى الحرص على طلب العلم والمعرفة والنصيحة من جهة ، وعلى قبـول

العذر من صاحبه من جهة أخرى .

ولقد استجاب رافع لنصيحة الصديق ، رضوان الله عليهما ، وبذل ما بذل فى سبيل الله ، ثم شارك مجاهدا فى معارك العراق وما حول العراق ، وحينما طلب ابو بكر من سيف الله خالد بن الوليد أن يعجل بالرحيل مع جانب من جيشه من العراق الى الشام ، لنجدة جيش الاسلام والمسلمين هناك ، اضطر خالد الى قطع صحراء السماوة ، وهى من اخطر المناطق وأطولها ، وكان رافع ابن عميرة دليلا فى هذه الرحلة ، واستطاع بخبرته بالصحراء ومهارته فى الاسفار ، أن يسلك بالمجاهدين الطرق الآمنة أو الاقل خطرا ، واستطاع أن يقطع بهم ما بين الكوفة ودمشق فى خمس ليال ، حتى قال ابن عبد البر : « يقال ان رافع بن عميرة قطع ما بين الكوفة ودمشق فى خمس ليال لمعرفته بالمفاوز ، أو لما شاء الله » (١) .

واستمر رافع على نضاله وجهاده ، حتى لحق بربه فى آخر خلافة عمر بن الخطاب ، سنة ثلاث وعشرين للهجرة .

رضوان الله تعالى على الجميع .

(١) الاستيعاب على هامش الاصابة ج ١ ص ٤٨٦

شهيد بلنجر

سلمان بن ربيعة الباهلى

يوجد فى تاريخ الوفاء والفداء جمع من المجاهدين المنسيين ، الذين صـدقوا فى ايمانهم ، واستقاموا فى سلوكهم ، وطابوا فى أعمالهم ، وأخلصوا فى نضالهم ، ورأوا أن الاخلاد الى الارض جمود ، وأن ضيق الحركة فى الحياة تقصير ، فخرجوا من بيوتهم الى أرض الله فى الشرق والغرب ، وفى صدورهم نور اليقين ، وفى أيمانهم هدى السماء ، وعلى أكتافهم عدة الكفاح ، وانساحوا فى جنبات الارض ، عقيدتهم : لا اله الا الله ، وشعارهم : عزت كلمة الله ، وصيحتهم : الله أكبر ، وغايتهم : ابتغاء وجه الله ، لايريدون سـواه ، ولا يتطلعون الى غنيمة أو جاه ، ولا يسأمون ترديد قول ربهم : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

ولقد عاش هؤلاء فى الحياة ما عاشوا ، وظلوا فوق ساحتها ما ظلوا ، لا تستقر جنوبهم على فراش ، ولا تتخلف أقدامهم عن استجابة لنداء : يدافعون هنا ويهاجمون هنـاك ، ويفتحون هنالك ، ثم ينتهى بهم المطاف الى رحاب الله العلى الكريم ، ليجزيهم أجر ما

عملوا ، ويثيبهم على غربتهم فى الحياة اقامة فى نعيمه ، وخلودا فى جناته .

ولعل سيدنا ورائدنا وقائدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشار الى ذلك فى حديث له ، فقال : « طوبى للغرباء » .

قيل : ومن هم الغرباء يا رسول الله ؟ ..

قال : « الذين يصلحون اذا فسد الناس » ! ..

ولقد أشار الرسول أيضا الى هذا المنهج البطولى — كما روى البخارى فى صحيحه عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما — حيث روى عنه أنه قال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » .

ولقد كان ابن عمر يقول : « اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، فانك لا تدرى يا عبد الله ما اسمك غدا ، وعد نفسك من أهل القبور » .

ومن كلام الامام على رضى الله عنه : « ان أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الامل فينسى الآخرة ، الا وأن الدنيا ارتحلت مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فان اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل » . وهذا قد روى موقوفا ومرفوعا .

***

وهذا أحد أبطالنا الغرباء الاوفياء المجهولين عند الكثيرين : انه الصحابى (١) المجاهد المغترب أبوعبدالله

(١) ذكره العقيلى فى الصحابة ، وقال ابو حاتم الرازى : له صحبة =

سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سديم بن ثعلبة الباهلي ، وهو من القادة ، الرواة ، القضاة ، الغزاة ، الفرسان ، الشهداء ، الغرباء ، يقول عنه ابن كثير : « وكان من الشجعان الابطال المذكورين ، والفرسان المشهورين » (١) .

وكان يقال عنه « سلمان أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور » (٢) .

وكان سلمان رجلا عابدا صالحا ، يغزو فى سبيل الله سنة ، ويحج لربه سنة (٣) وقد ولاه عمر قضاء الكوفة ، ثم تولى القضاء فى المدائن ، فكان بذلك أول قاضٍ قضى لعمر بن الخطاب ، وكان عادلا فى قضائه ، دقيقا فى حكمه ، ولذلك كان الناس يهابونه ، ويروى أنه كان يمكث أربعين يوما لا يأتيه خصم (٤) .

ولا عجب فقد كان مؤمنا فقيها ، مستقيا من القرآن ، راويا للحديث ، وكان ثقة ، فلا يروج عند مثله باطل ، وروى عنه كبار التابعين ، من أمثال أبى وائل وأبى ميسرة وأبى عثمان النهدى وسويد بن غفلة (٥) .

ولقد خرج سلمان بن ربيعة من داره مغتربا فى

= وأيد ذلك ابن عبد البر « الاستيعاب ، ج ٢ ص ٥٩) وكذلك ابن حجر (الاصابة ج ٢ ص ٥٩) وجاء عنه فى أسد الغابة : « أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وليس له صحبة » ثم قال : « ذكره البخارى فى الصحابة ولا يصح » . ج ٢ ص ٤١٥ . وفى البداية والنهاية : « يقال له صحبة » ج ٧ ص ٢٢٠ .

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ٣٠٥ .

(٣) تهذيب الاسماء واللغات للنووى ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٤) الاستيعاب ، ج ٢ ص ٥٩ . وأسد الغابة ، ج ٢ ص ٤١٥ . وعيون الاخبار ، ج ١ ص ٦١ . والبداية والنهاية ، ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٥) الاصابة ، ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠ .

سبيل الله ، فشهد فتوح الشام مع ابى أمامة الباهلى، وتولى غزو ارمينية ، وتولى امارة جيش وجهه عثمان ابن عفان فى اثنى عشر الف مقاتل الى بلدة باقصى أذربيجان تسمى « برذعة » ففتحها (١) .

يقول ياقوت فى معجمه نقلا عن الاصطخرى : «برذعة مدينة كبيرة جدا ، أكثر من فرسخ فى فرسخ ، وهى نزهة خصبة كثيرة الزروع والثمار جدا ، وليس ما بين العراق وخراسان بعد الرى واصبهان مدينة أكبر ولا أخصب ولا أحسن موضعا من مرافق برذعة » .

ويستدرك ياقوت على ذلك فيقول : «هذه صفة قديمة فأما الآن فليس من ذلك كله شيء» ويذكر أن سلمان بن ربيعة الباهلى هو الذى سار اليها ففتحها فى عهد عثمان رضى الله عنه .

واشترك سلمان فى معركة المدائن ، وابلى فيها بلاء حسنا ، وهو الذى تولى قسمة الغنائم فى المدائن (٢) .

وكان يقال له : « سلمان الخيل » ، لانه كان يقسم الغنائم بين المجاهدين ، وكان يقسم للخيول نصيبا ، ويقصر بما دونها ، تشجيعا على الفروسية ، وتقديرا لمجهود الخيل (٣) ، والحديث يقول : « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة » ..

وروى أنه كان يلى الخيل لعمر بن الخطاب ، فكان يقال له : « سلمان الخيل » . وكان عمر قد أعد فى كل مصر من أمصار المسلمين خيلا كثيرة للجهاد ، فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف جواد ، فكان العدو اذا دهم الثغور ركبها المسلمون وساروا مجدين لقتاله ،

---

(١) العبر ، ج ١ ص ٢٨ .
(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ٢٠ و ٢٩ .
(٣) الاصابة ، ج ٢ ص ٥٩ . وتاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ٢٩ .

فكان سلمان يتولى تلك الخيل بالكوفة .

وروى ابن قتيبة فى « عيون الاخبار » أن عمر بن الخطاب شك فى العتاق من الخيل والهجن ، فدعا سلمان ابن ربيعة الباهلى فأخبره ، فأمر سلمان بطست فيه ماء فوضع فى الارض ، ثم قدمت الخيل اليه فرسا فرسا ، فما ثنى منها سنبكه فشرب هجنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه عربه ، وذلك لأن فى أعناق الخيل الهجن قصرا فهى لا تنال الماء الا على تلك الحال ، اى ثنى سنابكها ، وأعناق الخيل العتاق طوال .

وروى ابن أبى الحديد فى شرح النهج أن سلمان عرض جنده بأرمينية ، فكان لايقبل من الخيل الا عتيقا ، فمر عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ ، فرده سلمان وقال : هذا هجين . قال عمرو : انه ليس بهجين ، ولكنه غليظ . فقال سلمان : بل هو هجين ، فبدرت من لسان عمرو كلمة نابية لا تليق ، حيث قال لسلمان معرضا : ان الهجين ليعرف الهجين .

فصبر عليه سلمان ، اذ كان حليما ، ولكنه كتب الى عمر الخليفة بعبارة معد يكرب ، فغضب الفاروق لكرامة سلمان ، فكتب الى عمرو بن معديكرب مهددا يقول له : اما بعد يابن معديكرب ، فانك القائل لأميرك ما قلت ، فانه بلغنى أن عندك سيفا تسميه الصمصامة ، وان عندى سيفا أسميه مصمما ، وأقسم بالله لئن وضعته بين اذنيك لا يقلع حتى يبلغ قحفك (١).

وكما كان سلمان حليما كان حريصا على مال الله تعالى لا يقبل استغلاله ، ولذلك حدث ابن أبى وائل فقال : غزونا مع سلمان بن ربيعة بلنجرد ، فحرج علينا (اى

(١) شرح نهج البلاغة ، ج ٣ ص ٨٢٩ طبعة بيروت .

حرم علينا) أن نحمل على دواب الغنيمة ، ورخص لنا في الغربال والحبل والمنخل (١) .

ولقد غزا سلمان أذربيجان ، وقتل من أعداء الله كثيرين ، حتى قال — وهو يشير الى سيفه البتار — : قتلت بسيفي هذا مائة مستلئم كلهم يعبدون غير الله، ما قتلت منهم أحدا صبرا (أى حبسا) (٢) . ولا غرابة في ذلك ، فسلمان هو الذى شهدناه فارس المجاهدين يوم « القادسية » . وكان أحد اثنين ، مالا بعد هزيمة الاعداء في القادسية على من ثبت من الاعداء .

والثانى هو ذوالنور عبدالرحمن بن ربيعة ، وكذلك مال سلمان على آخرين من الاعداء قد تكتبوا ونصبوا للمسلمين ، فطحنهم بخيله . وقد أبصر سلمان أناسا من الاعداء الاعاجم تحت راية قد حفروا لها ووقفوا تحتها وقالوا : لا نبرح حتى نموت . فحمل عليهم سلمان فقتل من كانوا تحتها وسلبهم (٣) .

****

وظل سلمان بن ربيعة الباهلى مجاهدا مغتربا في سبيل الله عز وجل ، وابتغاء لوجه الله سبحانه ، يتنقل من بلد الى بلد ، ومن دار الى دار ، ومن اقليم الى اقليم ، لا يكل ولا يمل ، حتى جاءت الغزوة الفاصلة ، وهى غزوة « بلنجر » ، وهى البلدة البعيدة النائية عن موطن سلمان ، فهى في أقاصى دلاية « أران » القريبة من أذربيجان والخزر .

ويذكر عنها ياقوت في معجمه أنها مدينة ببلاد

---

(١) الاستيعاب ، ج ٢ ص ٦٠ .
(٢) المقتول صبرا هو كل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ (النهاية) .
(٣) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٥٦٩ .

الخزر ، وان الذى فتحها هو سلمان ـ وقيل اخوة عبد الرحمن ـ ثم تجاوزها ، ولقيه « خاقان » فى جيشه خلف بلنجر فاستشهد هو واصحابه ، وكانوا اربعة آلاف ، وكان فى أول الامر قد خافهم الترك وقالوا : ان هؤلاء ملائكة لا يعمل فيهم السلاح ، فاتفق ان احد الاتراك اختفى فى غيضة ، ورشق مسلما من وراء ستار بسهم فقتله ، فنادى التركى فى قومه : ان هؤلاء يموتون كما نموت ، فلم تخافونهم ؟ واجترأوا عليهم فاستشهد سلمان وأخوه (١) .

كانت « بلنجر » بعيدة عن وطن سلمان بن ربيعة ، ولكنه لا يهتم لغربة ما دام الله معه ، وما دام هو مع الله ، يسعى فى طاعته ورفع كلمته ونشر دعوته ، ومقاومة اعدائه وأعداء عباده وبلاده .

وكانت هذه المعركة سنة ثمان وعشرين للهجرة ، فى أقصى بلاد العجم ، وصال سلمان وجال فى الميدان البطولى الرائع ، وتقدم المجاهدون من حوله نحو النصر حثيثا ، وحصلوا على جانب من الغنائم قبل أن تنتهى المعركة ، واحس القائد المخلص سلمان أن بعض من معه فرحوا بالغنائم وتطلعوا اليها ، فأنكر عليهم ذلك ، وقال لهم :

أفرحتم بما فتح الله عليكم ، وبما أصبتم من الغنائم؟

قالوا : نعم .

فقال لهم ناصحا وموجها ومودعا : « اذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فكونوا أشد فرحا بقتالكم معهم ، منكم بما أصبتم من الغنائم ، اما انا فانني استودعكم الله » !

---

(١) معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٩٠ .

وقفز على ظهر حصانه ، فكان فوقه فى أقل من لمح البصر ، واندفع الى حومة القتال ، ومن ورائه الاوفياء من رفاقه وزملائه ، وظل يصول ويجول ، لا يبالى بما يناله من طعنات أو ضربات أو جراح ، حتى أقبلت تباشير الفوز والنصر مرة أخرى ، ولكن اقبلت معها نهاية سلمان الحميدة المجيدة ، اذ ما زال يقاتل فى طليعة القوم حتى نال نعمة الشهادة (١) .

ورقد المجاهد المغترب الشهيد هناك بعيدا عن موطنه ، وجاء الترك بعد ذلك فاتخذوا على قبره تابوتا يستسقون به اذا أصابهم القحط والظمأ (٢) . وهو لايعنيه هذا فى قليل أو كثير ، وانما يعنيه أن ترتفع كلمة الله دائما وابدا ، لأنه القائل سبحانه : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم » (٣)

واغلب الظن - والغيب يعلمه الله - أن مثل هذا الشهيد الغريب يدخل النطاق الطهور لمفهوم قول الله سبحانه : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » .

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ص ٣٩٦ .
(٢) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٢٢٠ .
(٣) كان استشهاد سلمان سنة ٢٨ أو ٢٩ أو ٣٠ او ٣١ (الاستيعاب ج ٢ ص ٦٠) .

معركة حطين

ذكرى وعبرة

حينما نسترجع ذكرى من ذكريات أمتنا الخالدة الماجدة بفضل ربها ونعمة دينها ، ينبغي أن يكون لنا من وراء ذلك الاسترجاع عظة وعبرة ، فنتفقه دروس الماضي لنستفيد منها في الحاضر ، ونلحظ وجوه الموافقة او المخالفة بيننا وبين آبائنا وأجدادنا ، لنقوى جانب الموافقة الطيبة المثمرة ، ونقاوم جوانب المخالفة السيئة المردية .

وبذلك نسير على النهج القويم العظيم الذي سلكه الاخيار الابرار من أسلافنا ، فعاشوا في عزة الاسلام ونور الايمان ، ومضوا الى ربهم كراما عظاما ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا ، واغفر لنا ، انك على كل شيء قدير .

وفي منتصف شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ ، وفي اليوم الخامس من شهر يولية سنة ١١٨٧ م ، بدأت طلائع معركة « حطين » في أرض فلسطين — ردها الله على العرب والمسلمين — وحطين — بكسر الحاء وكسر الطاء مشددة وياء ساكنة — موضع في فلسطين بين طبرية وعكا ، بينه وبين طبرية نحو فرسخين ، وبالقرب

منهـا قرية يقال لها : « خيارة » بها قبر شعيب عليه السلام . يقول ياقوت فى معجم البلدان : « وهـــذا صحيح لاشك فيه » (١) .

وهناك « حطين » أخرى ، هى قرية بين ارسوف وقيسارية ، كذا قال الحافظان ابو القاسم الدمشقى ، وابو سعد المروزى ، واليها ينسب الزاهد الشهيد محمد بن عبيد بن حسين الحطينى الذى استشهد سنة ٤٧٢ هـ .

ولـكن ياقوت خطأهما فى ذلك التحديد .

وهناك « حطين » ثالثة فى أرض مصر ، وهو موضع بين الفرما وتنيس ، وهو موضع يصطاد منه السمك الحطينى (٢) .

وكان بطل المعركة وقائدها هو المجاهد الاســـلامى الـكبير ، السلطان الملك الناصر ، أبوالمظفرصلاح الدين : يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان ، من الاكراد ، وقد ولد سنة ٥٣٢ هـ بتكريت ، أو دوين ، وتولى حكم مصر سنة ٥٦٤ هـ فأصلح شئونها ووحد كلمتها ، وكان شجاعا شهما ، مجاهداً فى سبيل الله ، حسن العقيدة ، كثير الذكر لله ، حريصا على أداء العبادة ، محبا لسماع القرآن .

ولقد كان صلاح الدين يستمد حوافز الاقدام والفداء من عقيـدته وايمانه أكثر من اى شيء آخر ، ولقد تولى صـلاح الدين حكم مصر فى ظروف سيئة عصيبـة ، فالبلاد العربيـة محتلة بالافرنج من عصـابات الحروب الصليبية الاستعمارية ، والعرب والمسلمون فى شـقاق

---

(١) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٧٤ .
(٢) المرجع السابق .

قذرة وقحة ، حيث اعتـــدى على قافلة من الحجاج المسلمين الذاهبين فى هـدوء وخشـوع الى بيت الله الحرام ، فقتل المجرم الاثيم منهم من قتـــل ، ونهب ما نهب ، بلا شفقة ولا ارعواء .

وكانت بين القافلة أخت للبطل صلاح الدين، وحينما طلب هؤلاء الحجاج من ارناط ان يرعى حق الهـــدنة وحرمة الحج ، هزىء بهم ساخرا ، وتطاول على مقـام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسب والشتم ، وقال لهم فيما قال ، وهو يعمـل فيهم القتل والتذبيح : قولوا لمحمدكم ياتى ليخلصكم ! ..

وبلغ النبأ مسمع صلاح الدين ، ففاظه ذلك الاجرام الدنىء ، واقسم ان اظفره الله بأعدائه ليقتلن «ارناط» بيده ، جزاء توقحه على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

واعد صـلاح الدين للمعركة عدتها ، ولـكن احـد المتنبئين الدجالين اراد ان يفســد فى الارض ، ويوهن العزم ، فقال : ان فتحت القدس فستذهب عين لصلاح الدين ، ولم يبال البطل بذلك ، بل قال : « رضيت ان أسترد القدس ، وأصاب بالعمى » ! ..

وجمع صلاح الدين الناس فى صلاة الجمعة ، وتوجهوا الى الله بالدعاء الخالص أن يؤيدهم وأن ينصرهم ، ثم بدأ يحرك الجيش فى اليوم الرابع عشر من شـهر ربيع الآخر سنة ٥٨٣ متجها الى بلدة «طبرية» (١) ، فبلغها فى اليوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر المذكور.

وبدات المعركة فعلا يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذلك الشهر ، وشعار المسلمين هو صيحة التكبير .

---

(١) المطلة على البحيرة المعروفة باسم طبرية ، وهى فى طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها « معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٧ » .

واخذت المعركة تشتد ، وكان الوقت حارا فى عز الصيف ، وامر صلاح الدين باشعال النيران فى الاحراش والحشائش المحيطة بالاعداء ، لتزيد عليهم الجو حرارة ولهبا ، فيسلموا ، والحرب مكيدة .

وعند قرية حطين دارت الجولة الفاصلة ، حيث انتصر المسلمون انتصارا رائعا باهرا ، كان خيرا وبركة على كل عربى وكل مسلم .

واشتركت المرأة المسلمة فى المعركة ، فكان هناك عدد من المجاهدات ، شاركن فى القتال وفى خدمة المقاتلين وكانت شقيقة صلاح الدين ـ واسمها ست الشام بنت أيوب ـ تصنع الادوية والاشربة والعقاقير ، وتوزعها على الجرحى من المجاهدين ، وتعنى بأمرهم ، وهكذا كان الجهاد صبغة المجتمع الاسلامى ، فشمل الرجال والنساء ، والكبار والصغار .

وسقط من الاعداء المجرمين عشرة آلاف قتيل ، وكان عدد الاسرى ضخما ، وكان من بين الاسرى الملك « جفرى » ملك الافرنج على بيت المقدس (١) .

وكذلك كان المجرم الاثيم « ارناط » من أسرى المعركة .

وعامل البطل صلاح الدين أسراه بنبل وشهامة ورحمة ، ولكنه استثنى منهم ذلك القذر الوضيع ، « أرناط » ، ونفذ فيه وعيده الذى أقسم عليه ، فقتله بيده ، ذاكرا انه انما يقتله دفاعا عن حرمة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقصاصا عادلا لما فعله أرناط مع الحجاج المسلمين الآمنين .

ومضى صلاح الدين البطل الفاتح ، فاسترد عكا ، ونابلس ، والرملة ، وقيسارية ، ويافا ، وبيروت ، وغيرها .

---

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٣٢ .

ولقد كان لمعركة حطين شـأن واى شأن ، وعرف المؤرخون مكانتها فنوهوا بها اى تنويه ، وها هو ذا ياقوت مثلا يقول فى معجم البلدان : « أوقع صلاح الدين بالافرنج فى منتصف ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ وقعة عظيمة منكرة ، ظفر فيها بملوك الافرنج ظفرا كان سببا لافتتاحه بلاد الساحل ، وقتل فرعونهم ارناط صاحب الكرك والشوبك ، وذلك فى موضع يقال له : حطين ، بين طبرية وعكا (١) .

ويقول ابن تغرى بردى فى كتابه « النجوم الزاهرة » « ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين » (٢) .

ويقول مؤرخ الاســـلام الحافظ الذهبى فى كتابه « العبر » :

« سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فيها افتتح صلاح الدين بالشام فتحا مبينا ، ورزق نصرا متينا ، وهزم الفرنج وأسر ملوكهم ، وكانوا اربعين الفا ، ونازل القدس وأخذه ، ثم عكا فأخذها ، ثم جال وافتتح عدة حصون ، ودخل على المسلمين سرور لا يعلمه الا الله » (٣) .

***

وبعد شهرين من معركة حطين استطاع الناصر صلاح الدين أن يسترد مدينة القدس من أيدى محتليها ، بعد أن ظلوا فيها ما يقرب من مائة عام ، ودخلها ظافرا ذاكرا نعمة الله عليه قبل كل شىء ، وكان دخوله فى ليلة الاسراء والمعراج سنة ٥٨٣ هـ ـ ٢ اكتوبر سنة ١١٨٧م

وكانت أول جمعة عقب الفتح فى اليوم الرابع من شعبان ، وقد كانت هناك صلاة جمعة مشهودة مجموع

---

(١) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٧٤ .
(٢) النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٧ .
(٣) العبر فى اخبار من غبر ، ج ٤ ص ٢٤٨ .

لها الناس فى المسجد الأقصى ، وقد شهدها صلاح الدين البطل الفاتح ، وقد خطب الجمعة فى ذلك اليوم الخالد القاضى محىالدين محمد بن زكى الدين على القرشى ، وقد خطب خطبة وعتها كتب التاريخ ، وصـــارت لدينا اليوم نسيا منسيا ، ومن الواجب ان ندرســها لطلابنا وشبابنا وجنودنا .

ومما قاله فى هـــذه الخطبة :

« الحمدلله معز الاســـلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره ، الذى قدر الايام دولا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عبـاده من ظله ، واظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع .. »

ويقول فيها أيضا :

« فاحذروا عباد الله ـ بعد أن شرفكم الله بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجزيل ، وخصكم بنصره المبين ، واعلق ايديكم بحبله المتين ـ أن تقترفوا كبيرا من مناهيه ، وأن تأتوا عظيما من معاصيه ، فتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، وكالذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

والجهاد الجهاد ، فهو افضـــل عباداتكم ، واشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم ، اذكروا الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، خذوا فى حسم الداء ، وقطع شأفة الاعداء ، وطهروا بقيــة الارض من هذه الانجاس التى اغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الـكفر واجتثوا أصوله ، فقــد نادت

الايام بالشارات الاسلامية والملة المحمدية : الله اكبر، فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله من كفر » (١) .

لقـــد كان استرداد المسجد الاقصى يوما لاينسى ، وعملا مذكورا لايطوى ، هيأه فضل الله اولا ، ثم اخلاص المجاهدين بعد ذلك ، ثم بطولة ذلك القائد الاســلامى الـكبير صلاح الدين الايوبى الذى لم يعش بعد هــذا الفتح العظيم غير سنوات معدودة ، فقد توفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان يوم وفاته يوما ارتج له عالم الاسلام .

وها هو ذا صاحب « النجوم الزاهرة » جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى يقول عن صلاح الدين :

« ثم انه توفى الى رحمة الله تعالى ، بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان يوم موته يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله بعد فقد الخلفاء الراشدين ، رضى الله عنهم ، وغشى القلعة والملك والدنيا وحشــة لايعلمها الا الله تعالى .

وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم ، وكنت أتوهم ان هذا على ضرب من التجوز والترخص الى ذلك اليوم ، فانى علمت من نفسى ومن غيرى أنه لو قبل الفداء لفدى بالانفس» (٢)

***

اما بعد ، فان الله الدائم ما زال ولا يزال موجودا فوق كل موجود ، وان روح الاسلام ما زالت سارية فى كل

---

(١) أنظر نص الخطبة مع التعليق عليه فى كتابى «من اجل فلسطين» مطبعة الفتح بالقاهرة ، سنة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .

(٢) كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ص ٥١ .

مقام محمود ، وليس بمستحيل ان يعيد التاريخ نفسه. فتكون هناك معركة أخرى لحطين تسترد من ورائها فلسطين ، ولكنا نحتاج الى الاعتصام بكلمة التوحيد، وأن نحقق توحيد الكلمة ، وأن نستمسك بحبل الله القوى المتين ، والله مع المؤمنين العاملين .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» صدق الله العظيم .

القائد المجاب الدعوات

عقبة بن نافع الفهري

انه البطل الاسلامى العظيم ، عقبة بن نافع الفهرى القرشى ، فاتح أفريقية ، وبانى مدينة القيروان ، وصاحب جامع عقبة المشهور ، وهو الولى المؤمن صاحب الدعوات المجابة ، وصاحب الغزوات والآثار الحميدة فى صدر الاسلام .

ولقد ولد عقبة ــ رضى الله عنه ــ فى حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فى السنة الاولى قبل الهجرة ، ولم يقدر الله له لقاء النبى ، وان كان فريق من المؤرخين يعدونه من الصحابة ، حيث جاء فى كتاب « رياض النفوس » للمالكى عن عقبة : « ذكر أبو سعيد وغيره أنه معدود من جملة الصحابة الذين دخلوا أفريقية» (١) .

وشهد عقبة فتح مصر : كنانة الله فى أرضه ، وتولى قيادة الجيش الاسلامى الذى فتح الكثير من تخوم الشام ، وكان ذلك بتفويض من القائد الفاتح عمرو بن العاص ، ثم تولى قيادة الجيش الذى اتجه الى تحرير شمال افريقية ، فظل فى تقدمه حتى وصل وادى القيروان من أرض تونس ، فأعجبه المكان ، فبنى فيه

---

(١) رياض النفوس ، ج ١ ص ٦٢ .

مسجدا ظل يعرف حتى الآن باسم « جامع عقبة » . وامر من معه فبنوا مساكنهم من حوله ، جريا على العادة المألوفة فى تاريخ الاسلام ، وهى ان يقوم المجتمع الاسلامى على اساس المسجد ، فيكون المسجد هو واسطة العقد بين الابنية ، وهو نقطة الارتكاز فى بناء المجتمع ، حتى يظل مجتمعا ربانيا معقود الصلة ببيت الله عز وجل فى الارض ، وهو المسجد .

واقام عقبة مدينة « القيروان » التى كانت مقر الحكام العرب ، وكانت عاصمة الفاطميين الاولى، ويذكر الطبرى أن عقبة هو اول من اختط « القيروان » ، واقطعها للناس مساكن ودورا ، وبنى مسجدها ، ثم يروى ما قيل عنه : « وهو خير وال وخير أمير » (١) .

وكان معه خمسة وعشرون صحابيا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمع كبير من التابعين .

وحين فتح عقبة القيروان قال لاصحابه :

« ارى لكم معشر العرب ان تتخذوا بها مدينة تجعلوها عسكرا ، وتكون عزا للاسلام الى آخر الدهر (٢)

ودعا للمدينة بعد بنائها دعاء اسلاميا جليلا له رموزه واشاراته ودلالاته فقال :

«اللهم املأها علما وفقها ،واعزها بالمطيعين والعابدين واجعلها عزا لدينك ، وذلا على من كفر ، واعز بها الاسلام ، وامنعها من جبابرة الارض (٣) .

***

ولقد كان عقبة رضى الله عنه من اولياء الله الصالحين

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ص ٢٤٠ .
(٢) رياض النفوس ، ج ١ ص ٦ .
(٣) المرجع السابق .

قريب الصلة بالله رب العالمين ، ولذلك كان مجاب الدعوة عند الله تبارك وتعالى ، ويروى التاريخ فى مصادره الوثيقة أنه حينما شرع عقبة فى بناء القيروان وجدوا فى ساحتها سباعا وحيات ، وغير ذلك من الهوام ، فجمع من كان فى عسكره من الصحابة وأخلص الدعاء لربه . ونادى قائلا :

« أيتها الحشرات والسباع ، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارحلوا عنا ، فانا نازلون . فمن وجدناه بعد ذلك قتلناه » !

وحدث العجب ، لقد أخذت هذه السباع والحيوانات فى الرحيل بقدرة الله العلى الكبير . يقول التاريخ : « فكان السبع يحمل أشباله ، والذئب يحمل اجراءه ، والحية تحمل أولادها ، وهم خارجون أسرابا أسرابا ، حتى حمل ذلك المشهد كثيرا من البربر على الدخول فى الاسلام » (١) .

ويروى التاريخ كذلك أن عقبة كان فى الجهاد مع طائفة من المجاهدين ، فأوغلوا فى الصحراء ، وانقطع عنهم الماء ، حتى عطشوا عطشا شديدا أشرفوا منه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين مخلصتين لربه ، ثم دعاه تبارك وتعالى أن يسقيهم ، فجعل فرسه يحفر برجليه فى الارض ، واذا ماء ينبجس ، وجعل الحصان يمص الماء فأمر عقبة بحفر المكان ، فتفجر الماء غزيرا ، وشرب القوم منه وسقوا ، وحفظ التاريخ ذكرى هذا المكان ، فصار يسمى : « ماء الفرس » .

---

(١) انظر فى ذلك رياض النفوس ج ١ ص ٧ . والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٧ . وتاريخ الطبرى ج ٥ ص ٢٤٠ . ومعجم البلدان (مادة القيروان) . ويروى أنه قال لهذه السباع : « انا نازلونا ، فاظعنوا عزينا ، فخرجن من الجحور هوارب » . وعزين : أى جماعات .

ويذكر التـــاريخ أن الروم والبربر تحالفا تحالف الشيطان ضد عقبة وجيشه ، فقام عقبة فى الناس خطيبا، وبعد أن حمد الله واثنى عليه قال :

«يا أيها الناس، ان اشرافكم وخياركم الذين رضى الله تعالى عنهم ، وانزل فيهم كتابه ، بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، على من كفر بالله الى يوم القيامة ، وهم أشرافكم ، والســـابقون منكم الى البيعة ، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة

وانتم اليوم فى دار غربة ، وانما بايعتم رب العالمين ، وقد نظر اليكم فى مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلبــا لرضـــاه ، واعزازا لدينه ، فأبشروا ، فكلما كثر العدو كان اخزى لهم وأذل ، ان شاء الله تعالى ، وربكم — عز وجل — لايسلمكم ، فألقوهم بقلوب صادقة فان الله — عز وجل — جعلكم بأســـه الذى لا يرد عن القوم المجرمين .

فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه ، والله لايرد بأسه عن القوم المجرمين » .

وأقدم عقبة وقومه وقاتلوا فانتصروا ، وفازوا فوزا عظيما (١) .

وحينما شرع عقبة يجاهد فى سبيل ربه جمع أولاده وقال لهم :

« انى بعت نفسى من الله ، وما أدرى ما يأتى على فى سفرى .

« يابنى ، أوصيكم بثلاث خصــــال ، فاحفظوها ولا تضيعوها ، اياكم أن تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن ، فان القرآن دليل على الله عز وجل ، وخذوا

(٢) رياض النفوس ج ١ ص ٢٣ .

من كلام العرب ما يهتدى به اللبيب ، ويدلكم على مكارم الاخلاق ، ثم انتهوا عما وراءه .

واوصيكم ان لاتداينوا ولو لبستم العباء ، فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل ، فدعوه تسلم لكم اقداركم واعراضكم ، وتبق لكم الحرمة فى الناس ما بقيتم .

ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين ، فيجهلوكم دين الله ، ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا دينكم الا من أهل الورع والاحتياط ، فهو أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا » .

ثم قال : « عليكم سلام الله ، وأراكم لا تروننى بعد يومكم هذا » .

ثم دعا فقال : « اللهم تقبل نفسى فى رضاك ، واجعل الجهاد رحمتى ودار كرامتى عندك » (١) .

وكان عقبة رضى الله عنه يتخذ هذا الدعاء شعارا له فى مراحل نضاله وقتاله ، ولكنه لم يكن يقتصر على ترديد الدعاء ، بل هو يحسن الاعداد والاستعداد ، وكان يتقن اتخاذ الوسائل والاسباب ، وكان يفهم جيدا معنى قول الله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

وغزوات عقبة بن نافع تدل على بطولته وشجاعته ؛ ففى سنة تسع وأربعين قام بغزوة رائعة فى البحر (٢) ، وفى سنة ثلاث وستين وصل منطقة « الزاب » (٣) . ودارت معارك بينه وبين الفرنجة أبلى فيها بلاء حسنا .

---

(١) رياض النفوس ، ج ١ ص ٢٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ص ٢٣٢ .

(٣) الزاب : كورة عظيمة ، ونهر جرار بأرض المغرب ، على البر الاعظم ، عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة « معجم البلدان » .

ووصل فى فتوحه وانتصاراته الى شاطىء المحيط الاطلنطى ، وعلى شاطىء المحيط امتطى عقبة صهوة جواده ، واقحمه فى الماء ، ثم نادى بأعلى صوته قائلا . السلام عليكم ورحمة الله .

فقال له بعض أصحابه : على من تسلم ياولى الله ؟

فقال : على قوم يونس وهم من وراء هذا البحر . ولولاه لوقفت بكم عليهم .

ثم رفع يديه نحو السماء وقال : اللهم اشهد انى قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد اقاتل من كفر بك ، حتى لا يعبد أحد دونك (١) .

ولقد كان مع عقبة قائد آخر اسمه « أبو المهاجر » وأراد عقبة أن يستخلف أبا المهاجر على شئون الناس خلفه ، فرفض قائلا : « يا عقبة ، هل أترك الشهادة لك وحدك اذا كانت ؟ أنا أيضا أريد الشهادة » .

وأصر على الخروج ، وتم الفتح والنصر ، ولكن ارادة الله تعالى شاءت أن يكون للنصر ثمن .

فحينما كان عقبة بن نافع فى طريق العودة من هذا النصر ، وقد تقدمته جنوده ، وانفرد فى قلة من رفاقه . اطبق عليهم الفرنجة بعدد ضخم ، ودارت معركة غير متكافئة ، نال فيها عقبة نعمة الشهادة ، سنة ثلاث وستين (٢) ، ونال الشهادة معه رفيق كفاحه وسلاحه أبو المهاجر دينار ، وهكذا يرينا الخالق جل جلاله أن غاية المؤمن احدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، وماعند الله خير للأبرار .

ودفن عقبة فى ارض « الزاب » رضوان الله تعالى عليه .

---

(١) رياض النفوس ، ج ١ ص ٢٥ .
(٢) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢١٧ .

شهيد بعد طول شرود

عكرمة بن أبي جهل

ما اجمل العودة الى الحق ، ولو بعد طول الاعراض عنه .

وما أحسن الاهتداء الى الصواب ، ولو بعد امتداد الحبال من الانسان فى الضلال والخسران .

وان رحمة الله التى وسعت كل شىء لاتضيق منافذها الرحيبة عن قبول أى راجع مخلص عائد من حمأة الكفران الى صراط الايمان ، ومن ظلمات الرذيلة الى نور الفضيلة .

والله جل جلاله يحث عباده الشاردين عن رحاب طاعته ورضاه ، لكى يسارعوا بالرجوع الى مواطن محبته وهداه : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون » .

وكم من اناس أسرفوا فى الباطل ، وتوسعوا فى الاثم ، ثم ادركتهم عناية الله سبحانه ، فاذا هم يقلعون عن غيهم ، ويفرون من سيئات ماضيهم ، ويقبلون على رحاب ربهم ، يغسلون بدموع الندم والتوبة اقذار آثامهم

واوساخ ذنوبهم ، ويهدمون بأيدى العزيمة والشدة آثار بغيهم وطغيانهم ، ويشيدون بجدهم واجتهادهم صروح طاعاتهم وقرباتهم ، واذا هم من الصالحين السعداء ، بعد أن كانوا من الاشـــقياء التعساء ، واذا هم من المجاهدين الشهداء ، أهل التضحية والبذل والفداء ، بعد أن كانوا يناصبون الاسلام والحق أشد العداء ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ما داموا على صراط يقينهم ثابتين وبعزة ربهم مستنصرين :

واذا العنـــاية لاحظتك عيونها
نم ، فالمخاوف كلهن أمان !

***

وهذا نموذج رائع من هؤلاء :

انه الصحابى الجليل أبو عثمان عكرمة بن ابى جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى .

وحسبنا هنا أن نتذكر أنه ابن عدو الله ابى جهل ، الذى كان يسمى أبا الحكم ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم : أبا جهل ، لمـا كان فيه من جاهلية وضلال وكفران .

وكان أبو جهل من أشـد النـاس عداوة للرسول ، وهو الذى ألب عليه القبـائل ، وتعمد ايذاءه بكل ما استطاع ، واقترح فكرة اغتياله ليلة الهجرة ، باختيار شـاب جلد من كل قبيلة ، ليقتلوا الرســول معا ، فيتفرق دمه فى القبـــائل ، وهو الذى بالغ فى اغراء المشركين بالخروج الى غزوة بدر لقتال المسلمين .

ولقد لقى أبو جهل مصرعه الوبيل فى تلك الغزوة ؛ فمضى الى جهنم كافرا مشركا ، وحينما علم الرســول بمصرعه قال : قتل فرعون هذه الامة ! ..

وكان عكرمة فى أول أمره كافرا كابيه ، وكان شديد العداوة ايضا للاســـلام والمسلمين ، وهو الذى قاد الميسرة من فرسان المشركين يوم بدر، وكان ممن استطاعوا أن يتخطوا الخنـــدق بخيولهم يوم غزوة الاحزاب ، وأسرف اسرافا شديدا فى عداوته لخير الخلق وسيد الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام .

ولـكن العنـاية الالهيـة فتحت الطريق أمام فيض من نورها ، فتحقق فتح مكة ، وانتصر دين الله انتصارا مبينا ، ودخل النـــاس فى دين الله أفواجا ، واهـدر الرسول دماء أربعة من المشركين ، لـكثرة جرائمهم وفحش عداوتهم . وكان من بينهم عكرمة ، ففر بجلده ، وركب البحر يطلب مهربا بعيدا .

ولـكنه اخـذ يفكر فيما كان ، وفيما هو كائن ، ويستعرض الاحداث منذ أشرقت دعوة الاســـلام ، ويقلبها ظهرا لبطن ، فاذا هى تثير وجدانه ، وتهز كيانه، وتزلزل بنيانه . وبينما هو كذلك عصـــــفت الريح بالسفينة ومن فيها .

وهنا قال أصحابها لركابها : أخلصـوا فان آلهتكم لا تغنى عنكم شيئا ها هنا .

وكأن هـذه الـكلمة قد لمست الوتر العميق الحساس فى نفس عكرمة ، فاذا هو يقول ، وكأن نور الايمان قد بدأ يضىء صدره ، ان لم ينجنى فى البحر الا الاخلاص، فلن ينجينى فى البر غيره . اللهم لك على عهد ان عافيتنى مما أنا فيه ، أن آتى محمدا حتى أضع يدى فى يده ، فلأجدنه عفوا كريما .

وشاء ربك ماشاء ، ونجا عكرمة ، وصدق وعده ، وتطهر من ذنبه ، واقبل على ربه ، وسعى الى رســول الله صلى الله عليه وسلم فأعلن اسلامه .

ويقال فى رواية انه سار الى اليمن ، وان زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام أسلمت وحسن اسلامها ، وانها رجت الرسول أن يعطيها الأمان لزوجها عكرمة ، حتى تذهب اليه ، وتحضره من اليمن ليعلن اسلامه (١) .

واستجاب للرجاء النبى الذى قال فيه ربه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وسارعت أم حكيم الى زوجها ، ثم عادت به ليفتح صدره للاسلام فى يقين وايمان .

ويروى أنها قالت لزوجها حين بلغته فى اليمن : جئتك من عند أوصل الناس واكرمهم ، وقد أمنك .

وحينما رأى الرسول عكرمة عائدا من اليمن ، وعليه نور الاسلام ، قام اليه وعانقه ، وقال له : مرحبا بالراكب المهاجر .

وعن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت لأبى جهل عذقا فى الجنة ، فلما أسلم عكرمة قال : يا أم سلمة ، هذا هو ! ..

والعذق ـ بفتح فسكون ـ هو النخلة ، وبكسر العين هو العرجون بما فيه من الشماريخ ، وكأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد رأى جزءا من أبى جهل فى الجنة ، فعجب لان أبا جهل من أهل النار ، فلما أسلم عكرمة ولد أبى جهل ، كان ذلك تفسيرا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد كان بعض المسلمين يقول عن عكرمة : هذا ابن عدو الله ابى جهل . وكان عكرمة يسمع ذلك فيتألم ،

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٥٦٥ . وسيأتى باذن الله حديث مفصل عن أم حكيم رضى الله عنها .

فذهب الى رسول الله يشكو هؤلاء ، فجمعهم النبى وقال لهم : لا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى !..

***

وحسن اســــلام عكرمة ، وصار من « صالحى المسلمين » ، كما تعبر السيرة العطرة ، واستقام على الطريقة بلا انحراف . حتى روى أنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم ، وكان يكثر التلاوة فى كتاب الله عز وجل ، ويقبل المصحف وهو يبكى ، ثم يردد قوله : كلام ربى ، كلام ربى (١) .

وجاهد فى الله حق جهـــاده ، حتى قال فيه الامام الشافعى رضى الله عنه : « كان عكرمة محمود البلاء فى الاسلام » .

ولقد قال للرسول عقب اسلامه : يا رســول الله ، لا أدع مالا أنفقته عليك (أى فى محاربتك) الا أنفقت فى سبيل الله مثله .

وعمل على الوفاء بما وعد .

وقد استعمله الرسول على صدقات هوازن فى عام حجة الوداع .

وكان لعكرمة أثر عظيم (٢) فى قتال أهل الردة ، بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث كان أحـد القادة الاثنى عشر الذين قادوا الجيوش فى حروب الردة ، وقد ارسله أبو بكر رضى الله عنه الى أهل عمان حين ارتدوا ، فظفر بهم ، ثم سار عكرمة الى اليمن فجاهد فيها وانتصر .

ثم اتجه عكرمة الى الجهاد فى ربوع الشام مع غيره

---

(١) استدل بذلك الامام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته (البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٧ ص ٣٤) .

(٢) تهذيب الاسماء واللغات للنووى ، ج ١ ص ٣٣٩ .

من المجاهدين ، وخرج فضرب له خيمة كبيرة فى مكان يسمى « الجرف » على ميلين من المدينة ، وجاء بثمانية خيول ورماح وعدة ظاهرة .

وجاءه أبو بكر فسلم عليه ، ودعا له بخير ، ثم عرض عليه أبو بكر المعونة ، فقال له عكرمة : لا حاجة لى فيها ، معى ألفا دينار .

فدعا له أبو بكر بخير .

ومضى عكرمة الى الميـــدان ، فكان أميرا على بعض الـكراديس (قسم من الجيش) ، ثم أقبلت معركة قيل انها معركة اليرموك ، وقيل أجنادين ، وقيل مرج الصفر ، وكانت المعارك الثلاث سنة ثلاث عشرة (١) .

واشتد القتال فى المعركة ، وهتف فيها عكرمة يقول لاعداء الله : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل موطن ، وأفر منكم ؟ ! ..

ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ ..

فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الازور ، فى اربعمائة من المجاهدين الفرســان ، فقاتلوا قتــال الابطال أمام فسطاط القائد خالد بن الوليد .

وكان عكرمة يركب الاسنة دون مبالاة ، حتى كثرت الجراح فى صدره ووجهه ، وحينما قالوا له : اتق الله ، وارفق بنفسك .

أجاب : كنت أجاهـــد بنفسى عن اللات والعزى ، فأبذلها لهما ، أفأستبقيها عن الله ورســوله ؟ لا والله أبدا .

وما زال يقاتل ويناضل ، فى تضحية وفداء ، حتى سقط شهيدا مضرجا بدماء العزة والـكرامة ، ماضـيا

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٣٤ . والراجح أنها أجنادين .

الى اكرم مآل عند الله جل جلاله .

ووجدوا فى جسمه بضعا وسبعين ، ما بين طعنة وضربة .

واستشهد وله من العمر اثنتان وسبعون سنة .

واستشهد معه ابنه عمرو ، وعمه الحارث بن هشام .

رضوان الله تبارك وتعالى على الجميع .

وصدق الحق جل جلاله حيث يقول وهو أصدق القائلين :

« ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

شهيد يعدل مائة فارس

الضحاك بن سفيان الكلابي

ان الانسان اذا لاحظته عناية الله تبارك وتعالى هدته الى سواء السبيل ، وقرنته بالعمل الجليل ، ودفعته الى المقصد النبيل ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وهو عز شأنه يهدى بحكمة وعلم ، ويهب بقسطاس وعدل ، وهو أحكم الحاكمين .

ولقد يكون الانسان سادرا فى غلوائه ، غارقا فى شهواته وأهوائه ، ثم يتدبر ويتبصر ، فاذا نور الحق يسطع أمامه ، ويضيء أيامه ، فيعتدل بعد انحراف ، ويستقيم بعد اعتساف ، واذا هو ـ بعد أن كان أسيرا لشهواته ـ يصبح طالبا لما عند الله وحده ، طامعا لديه فى تجارة لن تبور ، وما عند الله خير للأبرار ، فيحمل روحه على راحته ، ويمضى بها الى كريم غايته ، باذلا ماله ودمه ، وحسه ونفسه ، فى سبيل ربه الداعى الى العزة والكرامة : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » .

ولنأخذ لنا مثلا من أمثلة هذا الطراز الكريم :

انه الصحابى الجليل ، البطل الشجاع ، المجاهد الشهيد : أبو سعيد الضحاك بن سفيان بن كعب بن

عبد الله بن أبي بكر بن عبيد بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي (١) .

وقد كان أحد الذين شهدوا جانبا من شبيبة الجاهلية ، فعرفوا نبوته وسيرته ، ثم استضاء بنوره وبصيرته بنور الإسلام ، فامتثل واعتدل ، وأخذ يعيد بناء شخصيته من جديد ، على أساس الإيمان .

كان يلهو بالشعر فشغله القرآن الكريم : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » . وكان يقطع قراءته بباطل القول ، فأصبح يعمره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتلقاه ويحفظه ، ثم يرويه عنه بعد ذلك جماعة من الأعلام الكبار ، أمثال سعيد بن المسيب ، والحسن البصري (٢) : « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » .

وكان لا يعرف له نحو الحق رائدا ولا قائدا ، فوجد خير رائد وقائد في شخص الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فأخلص له ، وفداه بنفسه ، حتى كان يقوم وراء النبي متوشحا سيفه ، حارسا لأكرم ذات بين الناس .

وكان يبذل قوته وفتوته في فنون من الصراع لا تخلص لوجه الله عز وجل ، فأصبح يجلي بطولته في ساحات الجهاد ، حتى صار يعادل مائة فارس ، بشهادة الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ، ففي فتح مكة أعطاه النبي لواء ، وجعله أميرا على بني سليم ، وكانوا تسعمائة فقال لهم رسول الله : هل لكم في رجل يعدل مائة فارس ، يوفيكم ألفا ؟ (٣) .

فقالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ ..

---

(١) كتاب تهذيب الأسماء واللغات ، ج ١ ص ٢٥٠ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .

فقال : الضحاك بن سفيان ،
فقبلوا ذلك فرحين .
ولقد عقد الرسول أيضا للضحاك بن سفيان ، فجعله أميرا على سرية فدائية الى بنى كلاب فى أرض نجد ، وكان ذلك فى شهر ربيع الاول من السنة التاسعة للهجرة ، وهناك دعا الضحاك القوم الى الاسلام فأبوا وتطاولوا ، ووقعت بينهم معركة ثبت فيها الضحاك ومن معه ثباتا عجيبا ، حتى انتصروا على أعدائهم .

وكان معه رفيق سلاح له هو الاصيد بن سلمة الذى عرض على أبيه الاسلام فأبى ، وأخذ الوالد الجاهل العنيد يسب الاسلام سبا فاحشا ، فغضب ولده الاصيد ، وطارده حتى أوقعه من فوق فرسه ، وهم بالفتك به تقديما لحق دينه على حق أبيه ، ولكنه تردد قليلا ، مضطربا بين عاطفتين تتصارعان فى نفسه ، وأنقذ الله الموقف ، فأقبل أحد المجاهدين فقتل والد الاصيد (١) .
ويقول ياقوت الحموى فى «معجم البلدان» ماخلاصته: أن هذه المعركة كانت فى موضع يقال له « زج لاوة » ، وهو موضع نجدى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحاك بن سفيان ، ومعه سلمة بن قرط ، ليدعوهم الى الاسلام فدعوهم فأبوا ، ونشبت بينهم معركة أبلى فيها الضحاك بلاء حسنا .
ويقول العباس بن مرداس فى بطولة الضحاك :

ان الذين وفوا بما عاهدتهم
جيش بعثت عليهم الضحاكا

ولقد بذل الضحاك مع أهله وقومه المشركين جهودا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ١ ص ١١٧ القسم الاول .

كبيرة حتى أسلموا ، فجعله الرسول صلى الله عليه وسلم واليا عليهم في نجد ، وجامعا للزكاة منهم ، ونصحه بأن يكون على وعى ويقظة فيهم .

وفي السنة التاسعة للهجرة قدم وفد يمثل بني كلاب ـ وهم قوم الضحاك ـ الى الرسول ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا ، فأكرم النبي وفادتهم ، واحتفى بهم كعب ابن مالك الصحابي الجليل ، وأهدى اليهم ، وهو الذي ذهب معهم الى رسول الله عليه الصلاة والسلام . فسلموا عليه بتحية الاسلام ، وأثنوا على الضحاك وعلى مسيرته فيهم لله ولرسوله ، وقالوا فيما قالوا : ان الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله (تبارك وتعالى) وبسنتك التي أمرته بها ، وانه دعانا الى الله ، فاستجبنا لله ولرسوله ، وانه أخذ الصدقة (الزكاة) من أغنيائنا ، فردها على فقرائنا ، فسر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك (١) .

وكما عمل الرسول على ابراز البطولة الكامنة في نفس الضحاك ، وتمكينها من اداء واجبها على أوسع نطاق ، عني بتربيته وتخريجه في الناحية الروحية والاخلاقية ، فكان يلقى اليه بأحاديثه وتوجيهاته ، التي أفاد منها الضحاك فوائد جليلة ، نفع بها نفسه ، وأرشد بها غيره .

ومن أمثلة ذلك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال للضحاك يوما :

يا «ضحاك» الست تؤتى بطعامك وقد قزح (٢)

---

(١) الطبقات لابن سعد ، ج ١ ص ٤٤ القسم الاول .

(٢) في تاج العروس : القزح ـ بكر فسكون ـ التابل الذي يطرح في القدر كالكمون والكزبرة . وقزح القدر ـ كمنع ـ جعل فيها التابل .

وملح (أى جعلت فيه التوابل المشهية) ثم تشرب عليه الماء ؟ ..

قال الضحاك : بلى يا رسول الله .

فقال له النبى : فالى ماذا يصير ؟ ..

فأجاب الضحاك : يصـــــير الى ما قد علمت يا رسول الله .

فقال له النبى : فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم .

وجاء الخبر فى « العقد الفريد » ، و « عيون الاخبار » هكذا :

قال النبى صلى الله عليه وسلم للضحاك بن قيس : ما طعامك ؟ ..

فقال : اللحم واللبن .

قال النبى : ثم الى ماذا يصير ؟ ..

فأجابه : يصير الى ما قد علمت .

قال النبى : فان الله عز وجل ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا (١) .

ولذلك روى المفسرون أن هــذا المعنى هو المراد من قول الله تبارك وتعالى : « فلينظر الانسان الى طعامه »

أى فلينظر الى أى شىء يصير هذا الطعام ، فانه بعد ان كان شهيا محبوبا مرغوبا فيه ، يصبح نجاسة قذرة منتنة ، لا يطيق الانسان رائحتها ولا يحتمل النظر الى شكلها .

وكذلك يقول الحق جل جلاله : « فلينظر الانسان مم خلق » ، ويقول : « خلق الانسان من علق » . والعلق جمع علقــة ، والعلقة القطعة من الدم الرطب

(١) العقد الفريد ، ج ٣ ص ١٢٢ . وعيون الاخبار ، ج ٢ ص٣٢٧ .

المتجمد ، وهما مما يستقذره الانسان وينفر منه .
وهذا يذكرنا بما روى عن الامام عبد الله بن المبارك ـ رضى الله عنه ـ حيث وقف ذات يوم متدبرا بين مزبلة ومقبرة . فقيل له : ما وقوفك بين هاتين ؟..
فأجاب : أنا بين كنزين من كنوز الدنيا ، فيهما عبرة : هذا كنز الرجال (واشار الى المقبرة) وهذا كنز الاموال (وأشار الى المزبلة) ! ..
ويالها من عبرة فيها ذكرى ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .
ويذكرنا هذا أيضا بما يروى عن أمير المؤمنين الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، فقد رووا أنه مر على مزبلة ، فقال : هذا ما بخل به الباخلون .
وفى رواية اخرى انه قال : هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالامس (١) !..

***

ونعود الى بطلنا الضحاك
لقد مضى البطل المجاهد الجسور ، فى طريق نضاله وجهاده ، حتى شهد المعارك الشرسة الفاصلة، التى عرفها تاريخ الاسلام باسم « حروب الردة » فى عهد الصديق ابى بكر رضوان الله عليه ، وفى أتون هذه المعارك نال الضحاك العظيم نعمة الشهادة فى سبيل الله تعالى ، فى السنة الحادية عشرة للهجرة .
ومضى الى ربه ليلقى عنده خالد الثواب وعظيم الجزاء .
رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن ابى الحديد ، ج ٥ ص ٤٨٢ .

الفدائى الزاهد

البهلول بن راشد

يحسب بعض الناس ـ اذا سمع حديثا عن الفداء ـ ان الفداء لا يتحقق معناه الا بالموت فى ميدان ، مع أن الفداء أنواع وألوان ، فالمجاهد الذى يناضل فى سبيل ربه وعقيدته حتى يسقط شهيدا فى الميدان انسان فدائى .

والرجل الذى يضحى من أجل حريته وعزته ـ سواء أمات أم نجا ـ انسان فدائى .

والرجل الذى يبذل لغيره كل ما عنده ـ برغم احتياجه اليه ـ انسان فدائى .

والطبيب المخلص الحى الضمير، الذى يقاوم الوباء ، ويتعرض للأخطار، كى ينقذ الذين حوله انسان فدائى.

والذى يجهر بكلمة الحق أمام الجبروت والطغيان انسان فدائى .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « افضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر » اى سلطان ظالم (١) .

ولقد حفظ لنا تاريخ الاسلام والمسلمين نماذج كثيرة لاهل الوفاء والفداء ، الذين ناضلوا بحواسهم ونفوسهم، وأعمالهم واقوالهم ، وسلاحهم وأموالهم .

(١) انظر كتابى « الفداء فى الاسلام » ص ١٦ و ١٧ .

وهناك طائفة من هؤلاء كانوا من أهل الزهد والتصوف، الذين أعرضوا عن متاع الحياة ، وشغلوا أنفسهم بذكر الله ، وقاوموا فتنة الشهرة والجاه ، ومع ذلك لبوا دعوة الاصلاح ونداء الواجب .

وهذا واحد من هؤلاء :

انه العالم المجاهد ، والفقيه العابد ، والفدائى الزاهد، ابو عمرو البهلول بن راشد الرعينى ، الذى كان من أهل القيروان المشهورة فى شمال أفريقية .

وقد ولد البهلول سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة، ونشأ زاهدا عابدا ، ثم صار عالما مجتهدا ، ثم أصبح ثقة رائدا .

ولقد شغل نفسه أولا بالعبادة والذكر ، حتى قال فيه أنس بن مالك : هذا عابد بلده .

وقال فيه بعض واصفيه : انه وتد من أوتاد المغرب(1)

ولكنه رأى الناس فى حاجة الى العلم والفقه ، فعكف على الدراسة والطلب والتحصيل ، وسمع من طائفة كبيرة ، فى طليعتها : مالك ، والثورى ، والليث ابن سعد .

ثم اخذ يعلم الناس ويفقههم ويفتيهم فى فقه المالكية، ذاكرا أن هذا التفقيه من أفضل القربات الى الله عز وجل ، فهو سبحانه القائل فى تنزيله الحكيم : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل : « لان

---

(1) كتاب ترتيب المدارك للقاضى عياض ، ج ٣ ص ٨٨ وكتاب الديباج المذهب ، ص ١٠١ . وفى تاج العروس ، أوتاد الارض جبالها لانها تثبتها ، والاوتاد من البلاد : رؤساؤها ، والواتد : الثابت . ووتد فلان رجله فى الارض اذا ثبتها .

يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » .

ومع أن البهلول بن راشد قد صار علما يشار اليه بالبنان ، وقد ذاع صيته هنا وهناك ، كان كثير الاتهام لنفسه ، وقد جاءه بعض الناس يمدحه ، ويطيل فى الثنـــاء عليه ، فأجابه قائلا : « والله لو كانت للذنوب رائحة ما جلست الى ، ولا جلست اليك » .

وهذا يذكرنا بقول الشاعر أبى العتاهية :

أحســـن الله بنـــــا أن الخطايا لا تفوح
فاذا المســـتور منـــا بين ثوبيه فضـــوح
نح على نفسك يامسكين ان كنت تنـو ح
لتموتن ولو عمـــرت كما عمـــــر نوح !

***

ولقد وصلت شهرة البهلول من القيروان ـ فى أقصى المغرب ـ الى سمرقند خراســـان ـ فى أقصى المشرق فكتبت اليه امرأة من سمرقند رسالة تقول له فيها :

هذا كتاب من امرأة من سمرقند خراسان ، ارتكبت من المجون والآثام ما لم يرتكبه غيرها ، ثم تابت الى الله ، وسألت عن العباد فى الارض ، فذكروا لها أربعة، منهم بهلول بأفريقية ، فسألتك بالله أن تدعو لها بأن يدوم عليها ما فتحه الله لها من هداية .

فلما قرأ البهلول كلامها جعل يبكى تأثرا به ، ويقول لنفسه : يا بهلول ، وصلت شهرتك سمرقندخراسان؟! الويل لك من الله ان لم يستر عليك (١) .

ولقـــد كان البهلول عالمـــا بصيرا بحكمة التشريع ، ووجوه الاصلاح الاجتماعى ، وكان يؤمن بأن معـــاونة

(١) انظر ترتيب المدارك للقاضى عياض ، ج ٣ ص ٨٩ . وقد نقلت القصة بشىء من التصرف .

المحتاجين من افضل العبادات والقربات عنـــــد الله جل شأنه .

وهـــذا شخص من معارفه يأتى اليه ، ويخبره بأنه خارج الى الحج تطوعا ، وكان قد حج قبل ذلك .

فقال له البهلول : كم أعددت لهذا الحج ؟ ..

فقال : مائة دينار .

فعرض عليه أن ينفق هــــذه الدنانير على محتاجين اليها ، وهو يرجو له من الله عز وجل أن يكتب له ثواب عشر حجات .

واستجاب الرجل ، فوزع البهلول هذه الدنانير على قوم هم فى أشد الاحتياج اليها (١) .

ماذا يقول فى هذا الذين يدمنون الحج كل عام ،كأنه عادة موصولة مكررة ؟

ماذا يقول فى هذا أولئك الذين حجوا مرات ، ومع هـــذا يظلون يحجون مرات ، ويزحمون مواسم الحج بعددهم وطاقتهم ، على حين يوجد أناس لايملـكون حجة الفريضة ؟ !

ان المسلمين يشكون فى السنوات الاخيرة ذلك الزحام الشديد المرهق فى موسم الحج ، بصـــورة تجعل من الصعب على ولاة أمور المسلمين أن يوفروا لحجاج بيت الله الحرام ما ينشدونه من يسر وراحة وطمأنينة أثنـاء ادائهم هذه الفريضة .

****

ثم يختم البهلول بن راشد المرحلة الاخيرة من حياته بصفحة من صفحات النضال الباهرة الرائعة .

فقد كان على افريقية فى زمنه أمير يسمى : « محمد

---

(١) انظر كتاب رياض النفوس ، ج ١ ص ١٣٨ .

ابن مقاتل العكى » ، ولم يرع هذا الامير أمانة الاسلام او حرمة المسلمين ، فأنشأ صداقة بينه وبين عدو الاسلام والمسلمين ملك الاسبانيول فى ذلك الوقت مع ان الحق جل جلاله يقول : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير » .

ويقول أيضا سبحانه : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

ويقول كذلك : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »

وعلم البهلول أن ذلك الملك الطاغية ، قد أرسل الى العكى ، ليبعث اليه بمقادير من السلاح والحديد والنحاس ، وكان المسلمون فى حاجة الى كل ذلك .

فذهب البهلول الى الامير ونصحه بأن يقطع صداقته مع ذلك العدو ، ووعظه فى ذلك وعظا بليغا ، فكبر ذلك على العكى ، وأمر بحبس البهلول وتقييده وضربه بالسياط . وأحدث ذلك الضرب فى جسد البهلول قرحة مات بسببها فى سنة ثلاث وثمانين ومائة (١) .

ولم يمهل القدر ذلك الامير الخائن ، فعاجله بعد قليل بالنكبات والنوازل ، ومضى الى آخرته مشيعا باللعنات والشتائم ، على حين تألق اسم البهلول فى تاريخ الاسلام والمسلمين ، علما من أعلام الزهد والورع ، واماما فى الفقه والعلم ، ومجاهدا لخدمة الناس واصلاح المجتمع . رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) كتاب ترتيب المدارك ، ج ٣ ص ١٠١ . وقيل توفى سنة ١٨٢ هـ انظر الديباج المذهب ، ص ١٠١ .

الشهيد الثابت

معن بن عدى الانصارى

كلما أهل علينا شهر ربيع الاول من عام هجرى جديد ، تذكرنا أنه الشهر الذى أسعد الله به الدنيا ، وأعز من شأنها ، ومكانها ، حيث جعله موطنا لمولد امام البشرية وسيد الانسانية محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ولاريب أن فى هذا الميلاد ذكرى باهرة عاطرة ، تفجر ينابيع الفرحة والبهجة فى نفس المؤمن الذى يوقن بأن ربه قد من عليه وعلى اخوته فى الله المنة الكبرى ، ووهبهم المنحة العظمى ، حين هداهم الصراط المستقيم ، بوساطة هذا النبى الكريم : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ولكن شهر ربيع الاول يتضمن ايضا من وراء هذه الذكرى المجيدة الفريدة ذكريات اسلامية اخرى ، لها عبرتها وثمرتها ، ولها مكانتها ومنزلتها ، ومن بينها

ذكرى جليلة تنفعنا فى حيـــاتنا ، ويجب ان تتالق فى خواطرنا ، حتى تحرك فينا ما خمد من جذوة الحياة ، وتبعث ما همد من روح النضال .

ففى شـــهر ربيع الاول من السنة الثانية عشرة من الهجرة كانت معركة « اليمـــامة » التى جاءت امتحانا عصيبا لابناء الاسلام ، ومع ذلك ثبتوا له ، ونجحوا فيه. وفتحت ارض اليمامة فى بلاد نجد (١) .

وقضت روح الجهاد والاستشهاد على عش الفتنــة ووكر الردة ، وعلى شيطانها الاثيم ، مسيلمة الكذاب ، ويده اليمنى « الرجال بن عنفوة » ، وعاد الحق الى نصابه ، وهيمن الاسلام من جديد على المكان والزمان والانسـان .

وكان من اعلام هــذه المعركة الصحابى المجاهــد ، الشهيد الثابت معن بن عدى بن عجلان الانصــارى ، الذى كان رجلا مثقفا فى جاهليتـــه ، حيث كان يجيد الـكتابة بالعربية ، والـكتابة حينئذ فى العرب قليـلة نادرة (٢) .

ولعل هــذا قد ســاعد على انشراح صــدره بسرعة الاسلام ، ولذلك كان احد السبعين الذين سبقوا الى الاستجابة فى بيعة العقبة الاخيرة (٣) .

وحين تمت الهجرة النبوية المجيدة آخى رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم بين معن بن عدى وزيد بن الخطاب (٤) ـ شقيق عمر الفاروق رضوان الله عليهما ـ وزيد بن الخطاب هو الشـــهيد الصامت الذى كان

---

(١) كتاب العبر للذهبى ، ج ١ ص ١٣ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٣ ص ٣٥ .
(٣) الدرر لابن عبد البر ، ص ٧٦ .
(٤) الطبقات ، ج ٣ ص ٣٥ . والدرر ، ص ١٠٠ .

اسن من عمر ، واسلم قبله ، ونال الشهادة قبله .
ولذلك كان عمر يقول عن اخيه :
« سبقنى الى الحسنيين ، اسلم قبلى ، واستشهد قبلى » ! ..
وقد فصلت الحديث عن بطولة زيد بن الخطاب فى كتابى « فدائيون فى تاريخ الاسلام » (١) .
ومن العجيب أن هذين المتآخيين فى الله على يد رسول الله — وهما معن وزيد — قد تآخيا كذلك فى الجهاد لوجه الله ، وتآخيا لنيل الشهادة معا فى معركة واحدة ، هى معركة اليمامة ، فمضيا أخوين الى عالم البقاء ، كما كانا أخوين فى هذه الحياة .

ولقد حرص معن على مواقف الفداء والوفاء ، فشهد غزوات بدر وأحد والخندق ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفى غزوة تبوك راى رسول الله خطورة ما فعله بعض المنافقين وأعداء الاسلام ، من بنائهم مسجد الضرار ، ليفرقوا به كلمة المسلمين ، وليمزقوا به وحدتهم ، ويتخذوه وكرا للمؤامرات والدسائس ضد الاسلام ،كما صور القرآن الكريم ذلك حيث يقول فى سورة التوبة :
« والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين ، وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون ، لا تقم فيه ابدا ، لمسجد اسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المطهرين ، افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على

(٥) فدائيون فى تاريخ الاسلام ، ص ١٧٤ ـ ١٧٨ .

شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين ،لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم ، والله عليم حكيم » .

فاختار النبى — صلى الله عليه وسلم — ثلاثة رجال، وامرهم بالذهاب الى هذا المسجد وهدمه واحراقه .

وقال : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وحرقوه .

فاستجابوا لذلك .

وكان هؤلاء الثلاثة هم مالك بن الدخشم ، ومعن بن عدى ، وشقيقه عاصم بن عدى (١) .

وعاصم هذا كان من خيار الصحابة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يندبه أحيانا لبعض المهمات الدقيقة ومن أمثلة ذلك انه كلفه فى غزوة بدر أن يقوم بمهمة عند اهل قباء ، ولذلك لم يحضر عاصم غزوة بدر ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام عده كمن شهدها ، وضرب له بسهمه وأجره (٢) .

وهذا تصوير نبوى رائع لاتساع مجال الجهاد ، حتى لا يظن ظان أن الجهاد مقصور على الذين يحملون السلاح ، وينخرطون به فى الميدان (٣) .

***

وكان معن بن عدى يحسن فهم الاسلام ، ويحسن ادراك مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومما يشهد لذلك أن المسلمين اخذوا — عقب وفاة

---

(١) ويروى أن المامورين كانا اثنين فقط . انظر تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ١١٠ . والدرر لابن عبد البر ، ص ٢٥٧ . والطبقات الكبرى ، ج ٣ ص ٣٦ .

(٢) الدرر لابن عبد البر ، ص ٢٥٧ .

(٣) الطبقات لابن سعد ، ج ٣ ص ٣٦ .

الرسول — يبكون ويقولون : والله لوددنا انا متنا قبله ، نخشى أن نفتن بعده .

وحينما سمع معن ذلك قال : انى والله ما أحب أنى مت قبله ، حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا (١) .

وكأنه بهذا لايريد أن يستخف بالمصيبة الكبرى فى فقد الرسول ، ولكنه يريد أن يشير الى الثبات على الاسلام ، وعلى متابعة النبى عليه الصلاة والسلام ، سواء أكان حاضرا أم كان غائبا ، وكأنه يريد أن يقول : اننى صدقت الرسول وهو حى بيننا أشهده وأراه ، وسأظل أصدقه وأتبع هديه ، وأن غاب عنا بشخصه.

وكأنه كان يتذكر قول الله تبارك وتعالى :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم علىأعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الأخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين ، وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الأخرة والله يحب المحسنين».

واذكر أنى فى سنة ١٩٤٨ م قلت فى كتابى « واجب الشاب العربى » هذه الكلمات :

---

(١) شهد عاصم بن عدى غزوتى أحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، وقد توفى بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائة سنة (الطبقات ج ٣ ص ٣٦) .

« ويعيبكم يا شباب ان تسيطر عليكم غريزة الخضوع للاشخاص لا للمبادىء ، وأن يملككم الاعجاب بالزعماء لا بالزعامة واهدافهـا ، وأن تتعلقوا بالذوات أكثر من تعلقكم بالحقائق والمعانى ، وأن تؤمنوا بالدعاة أكثر من ايمانكم بالدعوة .

وهـذه مع الاسف علة متحكمة ، نراها مستشرية فى البيئات العربية على صورة مفزعة ، فالتلميذ يفنى فى شخص أستاذه ، والموظف يذل لرئيسه ، والحزبى يصبح عبدا لزعيم حزبه ، و « النائب » لا يتحرك الا بوحى من قائده .

والدعوات تقوم بيننا فى الغالب على أشخاص امتازوا فى ناحية أو نواح ، ثم استطاعوا أن يجمعوا حولهم الاتباع والانصار ، بقدرتهم على العرض والتأثير والجذب والتكوين ، ويظل هؤلاء الجنود مسحورين بعبقرية قائدهم ، أو بريق حديثه ، أو سحر خطابته ، أو تأثير شخصه ، أو سلطان ذاته ، دون أن يمتزجوا بالمبادىء أو الحقائق ، أو الاهداف أو الآراء .

فاذا انتهى ذلك القائد ـ وهو فرد ـ انتهت دعوته التى جمع حوله باسمها الآلاف ، أو أصابها تصدع وانهيار ... » الخ (١) .

ولقد تعودت أن أقول لتلاميذى وطلابى حينما أراهم يحاولون تقليدى أو التشبه بى : « لا أريدكم منى نسخا مكررة ، ولكنى أريدكم لانفسكم صورا مبتكرة » !..

فلنستمسك بالدعوة ، بدل أن نفنى فى الدعاة .

ولذلك نرى معن بن عدى يحرص على أن لا تكون هناك فتنة بسبب اختيار خليفة للرسول ، وحينما رأى

---

(١) كتابى « واجب الشباب العربى » ص ٢٩ الطبعة الاولى .

وحمل زيد الراية ، وهتف معن بالمسلمين ليثبتوا ويتقدموا .

وما زال البطلان يتقدمان ويجاهدان ، حتى حققا مع زملائهما النصر والفتح ...

ولكنهما دفعا ثمنا لذلك : هو الشهادة ...

ورقد البطلان معا فى ثرى اليمامة ، ليلقيا الله يوم القيامة ، مشتركين فى الجهاد ، مشتركين فى حسن الاعداد ، مشتركين فى نعمة الاستشهاد ...

رضوان الله تبارك وتعالى على الجميع ...

= زيد بن الخطاب » من كتابى « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ، ص ١٧٤ ـ ١٧٨ .

الفقيه المجاهد
أبو سعيد الخدرى

ماذا يريد الاسلام من المسلم ؟..

انه يريد منه أن يكون مؤمنا صادق الايمان بعقيدة الحق والعدل والخير ، مستجيبا خالص الاستجابة لله وللرسول ، فقيها فى دينه ، بصيرا بمجتمعه ، عاملا لدنياه كأنه يعيش أبدا ، عاملا لأخراه كأنه يموت غدا ، محتملا ما يساق اليه من الاختبار والابتلاء ، مجاهدا فى سبيل ربه ، حريصا على العزة أو الشهادة ، مستقيما على طريق أهل الوفاء والفداء ، صادقا فى قوله وفعله وحاله .

وقد تبدو هذه الصفات أمامنا اليوم عزيزة منيعة ، لايسهل اليها الوصول ، وذلك لغربة الحق ، وقلة الخير ، وطغيان الفساد ، ولكن هذه الصفات كانت معروفة مألوفة فى مجتمع النبوة ، على قائده أفضل الصلاة والسلام ، لصدق الهمم حينئذ وسمو العزائم ، واقبال الناس منذ بداية الطريق على خالقهم الذى يهدى الى الحق والى صراط مستقيم : « أولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون » .

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابى الجليل ، والفقيه المحدث ، والعالم المجاهد : أبو سعيد الخدرى (١) رضى الله عنه وهو سعد بن مالك بن سنان الانصارى . الذى كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم واعيانهم ، حتى قيل انه لم يكن أحد من الصحابة أعلم منه (٢) .

وكان من ملازمى النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ولذلك روى الكثير من أقواله وأعماله واحواله .

ووالده مالك بن سنان كان ايضا محدثا مجاهدا ، وقد اشترك فى غزوة أحد . ونال فيها الشهادة ولحق بربه . وعاد المسلمون من الغزوة العصيبة ، فخرج الفتى أبو سعيد الخدرى ليستطلع اخبار المعركة ، ولا هم له ـ كما يروى هو ـ الا أن يطمئن على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينظر اليه .

فلما رآه النبى قال له : سعد بن مالك ؟..

فأجابه أبو سعيد : نعم بأبى انت وأمى يارسول الله

ودنا أبو سعيد من النبى ، وقبل ركبته والنبى على فرسه .

فقال له النبى : آجرك الله فى أبيك (٣) .

فلم يفزع أبو سعيد ولم يجزع لذلك .

وقد وصف أبو سعيد حالة رجوع الرسول من غزوة احد وصفا دقيقا فقال :

«كنا ممن رد من الشيخين (٤) ، لم نجىء مع المقاتلة ،

---

(١) نسبة الى خدرة ـ بضم فسكون ـ اسم أحد أجداده (تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ص ٢٣٧) .

(٢) التحفة اللطيفة للسخاوى ، ج ٢ ص ٦٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، ج ٤ ص ٤٩٤ .

(٤) موضع بالمدينة كان به معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد .

فلما كان من النهار ، بلغنا مصاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتفرق الناس عنه ، فجئت مع غلمان بنى خدرة نعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ننظر الى سلامته ، فنرجع بذلك الى أهلنا ، فلقينا النـاس متفرقين ببطن قناة ، فلم يكن لنا همة الا النبى صلى الله عليه وسلم ، ننظر اليه .

فلما رآنى قال : سعد بن مالك ؟..

قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى .

ودنوت منه فقبلت ركبته وهو على فرسه ، فقال : آجرك الله فى أبيك .

ثم نظرت الى وجهه ، فاذا فى وجنتيه مثـل موضع الدرهم فى كل وجنة ، واذا شجة فى جبهته عند أصول الشعر ، واذا شفته السفلى تدمى ، واذا فى رباعيته اليمنى شظية ، واذا على جرحه شىء أسود .

فسألت : ما هذا على وجهه ؟

فقالوا : حصير محرق .

وسألت : من أدمى وجنتيه ؟..

فقيل : ابن قميئة .

فقلت : فمن شجه فى وجهه ؟..

فقيل : ابن شهاب .

فقلت : من أصاب شفتيه ؟..

قيل : عتبة بن أبى وقاص .

فجعلت أعدو بين يديه حتى نزل ببابه ، ما نزل الا محمولا ، وأرى ركبتيه مجحوشتين (١) ، يتكىء على السعدين : سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، حتى دخل بيته .

---

(١) جحش الجلد : قشره وخدشه .

فلما غربت الشمس ، وأذن بلال بالصلاة ، خرج على تلك الحالة ، يتوكأ على السعدين : سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ ، ثم انصرف الى بيتـه ، والنـاس في المسجد يوقدون النيران يتكمدون بها من الجراح .

ثم أذن بلال بالعشـاء حين غاب الشفق ، فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بلال عند بابه صلى الله عليه وسلم حتى ذهب ثلث الليل ، ثم ناداه : الصلاة يا رسول الله . فخرج ، وقد كان نائما .

فرمقته فاذا هو أخف فى مشيته منه حين دخل بيته، فصليت معه العشاء ، ثم رجع الى بيتـه قد صفف له الرجال ما بين بيته الى مصلاه ، يمشي وحده حتى دخل.

ورجعت الى أهلى فخبرتهم بسلامته ، فحمدوا الله وناموا ، وكانت وجوه الاوس والخزرج فى المسجد على النبى صلى الله عليه وسلم ، يحرسونه فرقا (خوفا) من قريش أن تكر » (١) .

أرأيت أروع من هذا الوصف ؟ أرأيت أدق من هذا التصوير للمشهد والصورة ؟ لـكأن الـكلمات تجسم الأحداث فهى قائمة شاهدة مشاهدة . ومن هذا الوصـف الدقيق نأخذ فكرة عن أدب أبى سعيد وبيانه ، منـذ صباه وشبابه .

****

وكان أبو سعيد الخدرى قد طمع فى أن يخرج الى غزوة أحد، وكان عمره حينئذ ثلاث عشرة سنة فحسب، وكان والده يرغب كذلك فى أن يشترك ابنه فى الغزوة ، ولـكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه استصغر سن أبى سعيد فرده ، وصعب ذلك على الوالد والولد ،

---

(١) المرجع السابق .

حتى يعبر أبو سعيد عن ذلك فيقول ببيانه الدقيق :
« عرضت يوم أحد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وانا ابن ثلاث عشرة سنة ، فجعل أبى يأخذ بيدى ، ويقول : يا رسول الله ، انه عبل (ضخم) العظام . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعد فى النظر ويصوبه ، ثم قال : رده ، فردنى » (١) .

ومرت الايام ، وبلغ الغلام الخامسة عشرة ، وأقبلت غزوة الخندق ـ غزوة الاحزاب ـ فاشترك فيها بفتوته وشبابه ، وايمانه بربه ورسوله وكتابه . كما شهد ما بعدها من غزوات ، حتى اشترك فى اثنتى عشرة غزوة .

وكان من أهل بيعة الرضوان التى بايع المسلمون فيها رسولهم عليه الصلاة والسلام ، على الثبات حتى الموت .

وبجوار هذه البيعة العظيمة كانت هناك بيعة كريمة اخرى لأبى سعيد الخدرى ، عقدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى ألا يقدم حقا على حق الله ، وألا يقبل مهادنة أو تفريطا فى واجبه نحو الله ، ولذلك يقول سهل بن سعد :
بايعت النبى صلى الله عليه وسلم : أنا ، وأبو ذر ، وعبادة بن الصامت ، وأبو سعيد الخدرى ، على أن لا تأخذنا فى الله لومة لائم (٢) .

***

ولقد مرت على أبى سعيد الخدرى أيام فى الاسلام كانت شديدة الوطأة عسيرة الاحتمال ، فقد ذاق الجوع مع غيره ، حتى أكلوا ورق « البشام » وهو نوع من

(١) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ص ٢٣٧ .
(٢) التحفة اللطيفة ، ج ٢ ص ١٦٣ . وانظر تاريخ الطبرى ، ج ٢ ص ٥٠٥ . والدرر لابن عبد البر ص ١٥٥ .

الشجر ، واقتسم التمرة مع زميل له : هو عتبة بن غزوان ، كما اقتسم معه بردة اتزر كل واحد منهما بنصفها (١) .

ولقد مات والده مالك بن سنان (٢) ، ولم يترك لأسرته شيئا ، وشكا أهل أبى سعيد اليه الحاجة ، فخرج وفى نيته أن يسأل الرسول شيئا من المعونة ، فلما بلغ أبو سعيد المسجد ، وجد الرسول واقفا على المنبر وهو يقول :

« أيها الناس، قد آن لكم أن تستغنوا عن المسألة ، فانه من يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، والذى نفس محمد بيده ما رزق الله عبدا من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن ابيتم الا ان تسألونى لأعطينكم ما وجدت » .

فلما سمع أبو سعيد ذلك رجع ولم يسأل الرسول شيئا ، وقال لنفسه : ما يريد النبى غيرى ! (٣) .

وكأن ابا سعيد قد تذكر أن الاختبار الالهى لا بد له من الصبر حتى يعظم الاجر ، وذلك عن طريق الشرفاء الاوفياء .

وهذا أبو سعيد يسأل النبى فيقول : يا رسول الله، اى الناس أشد بلاء ؟..

فيقول الرسول : النبيون .

فيعود أبو سعيد الى السؤال قائلا : ثم اى ؟..

فيجيب النبى : ثم الصالحون .

---

(١) العقد الفريد ، ج ٤ ص ٢١٥ طبعة التجارية .

(٢) أم أبى سعيد هى : أنيسة بنت أبى حارثة . وزوجته هى زينب بنت كعب بن عجرة .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٤ .

وهذا هو القرآن الرائد يقول : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين » .

ولعل هذا الاحتمال الصابر من أبى سعيد الخدرى هو الذى جعل أبا نعيم المؤرخ للاولياء والصوفية يقول : ان حال أبى سعيد قريب من حال « أهل الصفة » لايثاره واختياره الفقر والتعفف (١) .

وعلى الرغم من الشـــــواغل الـكثيرة التى شغلت أبا سعيد الخدرى فى ميادين النضال والاحتمال ـ كان من كبار المحدثين عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى روى عنه ألفا ومائة وسبعين حديثـا ، سـمعها ووعاها ، وحفظها وعمل بها ، وبلغها سواه .

وقد تلقى عنه رواية هــذه الاحاديث أعلام فى تاريخ هذه الامة ، من أمثال : ابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وخلائق من التابعين (٢) .

ولمــا وقعت الفتنة بين المسلمين فى وقعة « الحرة » سنة ثلاث وستين اعتزلها أبو سعيد الخدرى ، ودخل غارا يتعبد فيه حتى تنكشف الغمة وتستقر الامة ، فدخل عليه رجل من اهل الشام يريد أن يقـاتله ، وكان مع أبى سعيد الخدرى سيفه ، فألقى به الى الارض وقال للرجل : بؤ باثمى واثمك ، لتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين .

ففزع الرجل من هــذه العبارة وارتدع ، ولم يمس أبا سعيد بسوء ، بل رجاه أن يدعو له ، فقال أبو سعيد: غفر الله لك (٣) .

---

(١) التحفة اللطيفة ، ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٥ ص ١٥٢ .

وظل ابو سعيد الخدرى عاملا مناضلا تحت لواء الاسلام ومناجل المسلمين ، حتى بلغ عمره اربعة وتسعين عاما ، ثم لحق بربه تبارك وتعالى ، حيث توفى بالمدينة سنة اربع وسبعين فى يوم جمعة (١) ، ودفن فى مقبرة البقيع .

رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) وقيل سنة اربع وستين (انظر تهذيب الاسماء ، ج ٢ ص ٢٣٧ وانظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٤) .

مجاهد يضيق بعمره

شريح بن هانىء الحارثى

يوجد فى الحياة أناس كل همهم أن يأكلوا ويشربوا ، ويتمتعوا ويلعبوا ، ولا يعنيهم سوى أن يزدادوا مما اشتهوا أو أرادوا ، فلا رسالة لهم ولا هدف ، وهؤلاء هم أجبن الناس فى مواطن الهول ، وتجدهم أحرص الناس على الحياة ، لان عبوديتهم للاهواء والشهوات تدفعهم دائما الى طلب المزيد من البقاء فى هذه الحياة ، وكأنهم ممن قال فيهم الحق جل جلاله :

« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ، يود احدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون »

وهناك أناس يحاولون أن يجمعوا بين أداء رسالة لهم فى الحياة ، والاستمتاع بما طاب من زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وكأنهم المشار اليهم بقول القرآن المجيد : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

فهؤلاء يأخذون حظوظهم العادلة من دنياهم الفاضلة، ولكنهم لا ينسون واجباتهم وتبعاتهم ، بل يحملون

انفسهم على مواجهة التبعات والمشقات قدر طاقتهم واستطاعتهم : قد يخافون ولكنهم لايجبنون ، وقد يتألمون ولكنهم لايذلون ، وقد يطول بهم المدى ولكنهم لايقنطون ، وقد تتقاصر حدود طاقاتهم عن بلوغ غاياتهم، ولكنهم لا يرتدون على أعقابهم ، ولا يتنكرون لمبدئهم او عقيدتهم .

ومن بين هؤلاء يخرج افراد اعلام ، يضربون المثل الرائع فى الصدق والوفاء والفداء ، فتهون عندهم الحياة ، حتى كأنها جناح بعوضة ، ويحلو فى افواههم طعم الموت فى سبيل ربهم كأنه شهد مذاب .

وكأن هؤلاء يحشرون فى ركاب من قال فيهم الحق جل جلاله : « انا أخلصناهم بخالصة (١) ذكرى الدار، وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » .

ولقد يتفتح أمام هؤلاء ــ وهم فى موقف الهول ــ باب للخلاص أو مسالك للنجاة ، ولكنهم يفضلون عليها لقاء ربهم راضيا عنهم ، ليجزيهم أجرهم ، ويرفع قدرهم ، ويمجد ذكرهم ، والله يختص بفضله من يشاء .

وكأن هذا الطراز من الصادقين الاوفياء هم الذين قال فى أحدهم القائل الحكيم :

وقد كان فوت الموت سهلا فرده
اليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف الضيم حتى كأنه
هو الكفر يوم الروع ، أو دونه الكفر
فأثبت فى مستنقع الموت رجله
وقال لها : من تحت اخمصك الحشر

---

(١) أى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة لا شوب فيها هى تذكرهم للاخرة دائما .

تردى ثياب الموت حمرا ، فما أتى
لها الليل الا وهى من سندس خضر

***

وهذا واحد نستطيع أن نلحقه بهؤلاء :

انه الصحابى الجليل ، أبو المقدام شريح بن هانىء بن يزيد الحارثى ، الذى عاش عمرا طويلا ، مع أنه كان غير حريص على الحياة ، وأدرك الجاهلية والاسلام ، وكان راجزا شجاعا ، وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسلم ، ودعا له النبى (١) .

ووفد والده هانىء على النبى وأسلم ، فسأله الرسول عن أكبر أولاده ، فذكر له أنه « شريح » . فقال له النبى : « أنت أبو شريح » . فصارت هذه كنيته بعد ذلك (٢) .

واخذ فضل شريح يظهر ويتألق ، حتى قال عنه القاسم بن مخيمرة : ما رأيت أفضل منه (٣) .

وقد زان شجاعته وشعره وفضله بالفقه فى الدين ، والرواية للحديث ، فروى عن عائشة ، وعلى ، وبلال وغيرهم .

وروى عنه ابناه المقدام ومحمد ، وآخرون .

وكان شريح بن هانىء من أصحاب الامام على رضى الله عنه ، بل من أجلهم (٤) ، ومن مقدمى جنوده ، ومن امراء جيشه ، وشهد معه حروبه ومعاركه (٥) . وفى موقف التحكيم بين على ومعاوية بعث على أبا موسى

---

(١) أسد الغابة ، المجلد ٢ ص ٥١٨ طبعة دار الشعب .
(٢) الاصابة ، ج ٢ ص ١٦١ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الاستيعاب ، ج ٢ ص ١٤٧ .
(٥) أسد الغابة ، المجلد ٢ ص ٥٢٠ .

الاشعرى ممثلا له ، وبعث اربعمائة رجل عليهم شريح ابن هانىء ، وبعث معهم عبد الله بن عباس ليصلى بهم (١) .

واوصى الامام على شريحا بقوله : « اتق الله فى كل مساء وصباح ، وخف على نفسك الدنيا الفرور، ولا تأمنها على حال ، واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه ، سمت بك الأهواء الى كثير من الضرر ، فكن لنفسك مانعا رادعا ، ولنزوتك واقما قادعا » (٢) .

ويروى ابن أبى الحديد أن الامام على بن أبى طالب رضوان الله عليه دعا اليه زياد بن النضر وشريح بن هانىء ، وجعلهما أميرين على الجيش ، ثم قال لزياد : « يا زياد ، اتق الله فى كل ممسى ومصبح ، وخف على نفسك الدنيا الفرور ، ولا تأمنها على حال ، واعلم أنك ان لم تزعها (تمنعها) عن كثير مما تحب مخافة مكروهه ، سمت بك الأهواء الى كثير من الضرر ، فكن لنفسك مانعا وازعا من البغى والظلم والعدوان ، فانى وليتك هذا الجند فلا تستطيلن عليهم ، ان خيركم عند الله أتقاكم . تعلم من عالمهم ، وعلم جاهلهم ، واحلم عن سفيههم ، فانك انما تدرك الخير بالحلم وكف الأذى والجهل » .

فقال زياد : أوصيت يا أمير المؤمنين حافظا لوصيتك ، مؤديا لأربك ، يرى الرشد فى نفاذ امرك ، والفى فى تضييع عهدك » !..

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ص ٦٧ .

(٢) الحفيظة : الغضب . واقما : قاهرا . انظر شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ١٠٠ .

وكان شريح رجلا يقول الحق وينطق به فى مواطن الرعب ، ومن أمثلة ذلك انه لما قبض زياد بن أبيه على الشهيد المجيد : حجر بن عدى الشهيد المدفون بأغلاله (١) ، وكان هذا بأمر من معاوية بن أبى سفيان ، حاول زياد أن يحمل شريحا على أن يطعن حجرا أو يفتى بإباحة دمه ، ولكن شريحا أبى ذلك ، وكتب لمعاوية خطابا يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانىء . أما بعد ، فانه بلغنى أن زيادا كتب اليك بشهادتى على حجر بن عدى ، وشهادتى على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدم والمال ، فان شئت فاقتله ، وان شئت فدعه » !..

يقول شريح هذا على سبيل التعريض والوعيد ، ولمن؟.. لمعاوية المصر على قتل غريمه حجر بن عدى !! و فى يدى معاوية حينئذ السلطة والجاه والسيف !..

****

وطال عمر شريح ثم طال ، فبلغ المائة عام ، وتجاوز ذلك بعشر سنوات ، وهو دائب على أداء ما يستطيع لدينه وقومه .

ثم جاء الموقف الهائل الفاصل فى معركة «سجستان» التى اظهر فيها شريح مدى استهانته بالحياة ، بل مدى استطالته لعمره ، وضيقه بالحياة الدنيا ، ورغبته العميقة فى لقاء ربه عز وجل .

---

(١) تراجع تفاصيل بطولته فى كتابى « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ٩٠ ـ ٩٧ .

وكان شريح رجلا يقول الحق وينطق به فى مواطن الرعب ، ومن امثلة ذلك انه لما قبض زياد بن ابيه على الشهيد المجيد : حجر بن عدى الشهيد المدفون بأغلاله (١) ، وكان هذا بأمر من معاوية بن ابى سفيان ، حاول زياد أن يحمل شريحا على أن يطعن حجرا أو يفتى باباحة دمه ، ولكن شريحا أبى ذلك ، وكتب لمعاوية خطابا يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية امير المؤمنين من شريح بن هانىء . أما بعد ، فانه بلغنى أن زيادا كتب اليك بشهادتى على حجر بن عدى ، وشهادتى على حجر انه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدم والمال ، فان شئت فاقتله ، وان شئت فدعه » !..

يقول شريح هذا على سبيل التعريض والوعيد ، ولمن؟.. لمعاوية المصر على قتل غريمه حجر بن عدى !! و فى يدى معاوية حينئذ السلطة والجاه والسيف !..

****

وطال عمر شريح ثم طال ، فبلغ المائة عام ، وتجاوز ذلك بعشر سنوات ، وهو دائب على أداء ما يستطيع لدينه وقومه .

ثم جاء الموقف الهائل الفاصل فى معركة «سجستان» التى اظهر فيها شريح مدى استهانته بالحياة ، بل مدى استطالته لعمره ، وضيقه بالحياة الدنيا ، ورغبته العميقة فى لقاء ربه عز وجل .

---

(١) تراجم تفاصيل بطولته فى كتابى « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ٩٠ ـ ٩٧ .

كانت هذه المعركة سنة ثمان وسبعين للهجرة ، او سنة تسع وسبعين ، وكانت ضد الروم ، وكان قائدها عبد الله بن أبى بكرة . وقد استطاع الجيش الاسلامى أن ينتصر وينتصر ، وأن يتوغل فى أرض الاعداء ويتوغل.

ثم أقبلت بعد ذلك معركة فى غاية الشدة والشراسة، وابتلى المؤمنون فيها ابتلاء شديدا ، وأراد قائد المعركة أن يخفف على الجنود ، فيأذن لهم فى الانسحاب .

ولـكن شريح بن هانىء أصر على مواصلة الجهـاد ، لينال نعمة الاستشهاد ، وجعل يقاتل ويقاتل ، حتى نال الشهادة فى هذه المعركة مع عدد من رفاقه .

وكان شريح يعبر فى هذه المعركة عن ضيـــقه بالحياة ، فيردد :

أصبحت ذا بث أقاسى الـكبرا
وعشت بين المشـــركين أعصرا
ثمت أدركت النبى المنــــذرا
وبعــده صـــديقه وعمرا
ويوم مهران ، ويوم تســـترا
والجمع فى صـــفينهم والنهرا
وباجمـــيرات مع المشـــقرا
هيهات ، ما أطول هذا عمرا (١)

ويذكر التاريخ ان القائد ابن أبى بكرة عرض على شريح فـكرة الانسحاب ، فأبى شريح وقال :

« والله لقد بلغت سنا ، وقد هلـكت لداتى ، ماتأتى على ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضى حتى أموت ، ولقد كنت أطاب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتتنى اليوم

(١) الاصابة ج ٢ ص ١٦٢ . وأسد الغابة ج ٢ ص ٥٢٠ . وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٣٢٣ .

ما اخالنى مدركها حتى أموت » ! !

وأخذ يهتف : يا أهل الاسلام ، من اراد منكم الشهادة فالى ! !

وفى نهاية المعركة القاسية سقط شريح بن هانىء شهيدا وسط مجموعة من رفاقه ، وهو فى سن المائة عام وعشرة أعوام .

تقول كتب التاريخ :

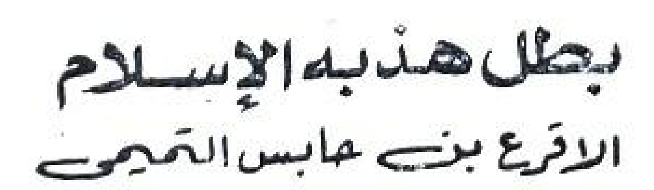
توفى شريح سنة ثمان وسبعين غازيا فى سجستان ، وكان الكفار قد أخذوا الدروب على المسلمين ، فقتل عامة ذلك الجيش ، ويذكر ابن كثير فى « البداية والنهاية» أنه توفى سنة تسع وسبعين (١) .

ويلاحظ هنا أن شريح بن الحارث الكندى القاضى توفى ـ على قول ـ فى العام نفسه ، وعاش أيضا أزيد من مائة سنة .

رضوان الله تبارك وتعالى على الجميع .

---

(١) انظر الاصابة ج ٢ ص ١٦١ . والعبر ١ ص ٨٩ . والبداية والنهاية ج ٩ ص ٢٩ .



يا لروعة ما يصنع الاسلام العظيم بالنفوس الداخلة فيه ، المؤمنة به !

لكأنه ينشئها بفضل الله انشاء ، أو يعيد بناءها من جديد ، فهو ـ بعقيدة التوحيد ـ يطلقهـا من أوهام الشرك وضلال الكفر ، ويحررها من ذل الخضوع لغير الخالق الرازق ، البارىء المصور .

وهو ـ بما شرع من عبادات ـ يطهرها فى ظاهرها وباطنها ، وهو ـ بأخلاقه النبيلة ـ يزكيها ويعليها ، ويعودها الفعل الحميد ، والكلمة الطيبة ، والسلوك الجميل ، وهو ـ بعقيدة البعث ولقاء الله فى الدار الآخرة الباقية ـ يعلمها كيف تلقى الموت فى رحاب الشهادة باسمة ناعمة ، لان هـذا الموت الكريم هو مفتاح بابها الى ربها ، حيث يقال لها :

« يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

ولقد ظهر الاسلام الحنيف فى بدايته بين قوم فيهم غلظة البادية ، وجفاف الصحراء ، وتحكم الاهواء . حتى قال الحق تبارك وتعالى فى بعضهم : « الاعراب اشد

كفرا ونفاقا ، وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » . فما زال الاسلام بهم ، يهذب نفوسهم ، ويطهر حواسهم ، وينفخ على كيانهم ، وبنيانهم ، بناره المزكية المطهرة ، حتى صاروا كالملائكة يمشون بين الناس، ويحملون أرواحهم على أكفهم ليبذلوها رخيصة في سبيل الله الذى خلق الحياة وأوجد الاحياء .

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابى الفاضل ، المجاهد المناضل : الاقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان المجاشعى الدارمى التميمى ، وقيل ان اسمه « فراس » ، وأن الاقرع لقب له ، بسبب وجود قرع كان فى رأسه ، ولكن الظاهر أن المسمى باسم « فراس » هو أخو الاقرع (١) .

وقد كان الاقرع فى جاهليته مثلا من أمثلة الفلظة والخشونة والعنف . نعم ، كان عظيما فى قومه ، وكان اكثرهم معرفة وخبرة ، وكان حكما بينهم ، يفصل فى خصوماتهم ومفاخراتهم فى سوق عكاظ وغيره (٢) .

ويتحدث القلقشندى عن أسواق العرب ويقول : « ثم يرتحلون الى عكاظ فى الاشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم ، ويتناشدون الاشعار ، ويتحاجون ، ومن له أسير سعى فى فدائه ، ومن له حكومة ارتفع الى من له الحكومة ، وكان يقوم بأمر الحكومة فيها من بنى تميم ، وكان آخر من قام بها منهم الاقرع بن حابس » (٣) .

وكان أول من حرم القمار فى الجاهلية (٤) . كما

(١) نهاية الأرب ، ج ٢ ص ٧١ .
(٢) نهاية الارب ، ج ١ص ٢٦٧ .
(٣) صبح الأعشى ، ج ١ ص ٤١١ : وراجع حكومته فى منافرة ابن جرير البجلى وخالد بن ارطاة فى بلوغ الأرب للالوسى ، ج ١ ص ٣٠١ .
(٤) صبح الاعشى ، ج ١ ص ٤٣٥ .

لايخلو الرجل من صفات أخرى ، تحمد ولا تعاب .

ولـكنه كان فى أول أمره مجوســيا (١) . وحينما أشرق نور الاسلام لم يسارع الاقرع اليه ، بل تقاعس عنه وتمرد عليه . وكانت فيه الى جوار ذلك فظاظة فى الحديث ، وتكبر على الناس ، وتكاثر بالمال والمتاع ، وتفاخر بالنفس والحسب ، ولقد وفد ذات يوم مع قومه من بنى تميم ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونادوا عليه بطريقة مؤذية ، ثم قال الاقرع للرسول : يا محمد ، ان حمدى لزين ، وان ذمى لشين .

فوجهه الرسول الى حسن الادب فى الخطاب قائلا : ذلك هو الله سبحانه .

فعاد الاقرع يقول للنبى فى غرور وكبرياء : نحن بنو تميم ، جئنا بشاعرنا وخطيبنا ، لنشاعرك ونفاخرك .

فقومه النبى بهدوء ، وعلمه قائلا : ما بالشـــعر بعثنا ، ولا بالفخار أمرنا ، ولـكن هاتوا .

وجرت المسابقة ...

فانتصر خطيب الرســـول على خطيب تميم ، وفاز شاعر الرسول على شاعر تميم ، حتى انتبــه الاقرع لنفســه ، وأدرك الفرق بعينــه ، فمال نحو قومه يقول لهم : يا هؤلاء ، ما أدرى مع هــذا الامر ، تكلم خطيبنا فـكان خطيبهم ارفع صوتا ، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم ارفع صوتا وأحسن قولا ! ؟

ثم بادر الاقــرع نحو الرسول مادا يده يقول له : أشهد أن لا اله الا الله ، واشهد انك رسول الله .

ويقبل النبى اسلامه ، ويقول له : لا يضرك ما كان قبل هذا ! ..

---

(١) بلوغ الارب ، ج ١ ص ٣٤٤ و ج ٢ ص ٢٢٥ .

واخذ نبى الاسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصوغ الاقرع بن حابس بالاسلام من جديد ...

لقد انتقل الاقرع الى الدين العظيم ، وما زالت فيه رواسب من حياته فى الجاهلية ، فلا بد من علاجها بحكمة ورفق ، حتى يستقيم على الطريق .

لقد بقيت فيه بقية من غلظة وقسوة ، حتى انه ابصر النبى ذات يوم وهو يقبل الحسن ، فقال : ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا .

فأعطاه النبى درساوجيزا بقوله : « من لا يرحم لايرحم » (١) .

وكان الاقرع جديدا على الاسلام ، وفيه تطلع الى المال والمتاع ، فجعله النبى صلى الله عليه وسلم من المؤلفة قلوبهم ، الذين دعا الاسلام الى معاونتهم واعطائهم وتشجيعهم ، ليقوى ايمانهم ، وتثبت قلوبهم عليه ، وفى عددهم خلاف ، قيل انهم خمسة عشر رجلا هم : الاقرع بن حابس ، وأبو سفيان بن حرب ، وعيينة بن حصن ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وحويطب بن عبد العزى ، وسهيل بن عمرو الجهنى ، وأبو السنابل بن يعكك ، وحكيم بن حزام ، ومالك بن عوف النصرى ، وصفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن يربوع ، وأحمد بن قيس السهمى ، وعمرو ابن مرداس السلمى ، والعلاء بن الحارث الثقفى (٢).

وحينما أقبلت غنائم حنين الضخمة أعطاه الرسول مائة ناقة منها .

---

(١) التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٣٢٤ .

(٢) انظر الاعلام ، ج ١ ص ٣٤٣ . وتاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٩٠ وصبح الاعشى ، ج ١ ص ٤٤٨ .

وكان فى الاقرع تطلع الى سمو المنزلة وعلو المكانة ، لأنه كان شريفا وسيدا بين قومه فى الجاهلية ، حتى يقول السخاوى عنه فى « التحفة اللطيفة » : كان شريفا فى الجاهلية والاسلام ، فأكرمه الرسول وحفظ له مكانته (١) .

وكان فى الاقرع غلظ فى الحديث ، فأخذ الرسول يعوده الكلمة الطيبة ، ويعلمه أنها صدقة .

وهكذا انطلقت يد رسول الله عليه الصلاة والسلام فى شخصية الاقرع ، تهذبها وتؤدبها ، وتصوغها من جديد صياغة توافق هدى الدين وأدب الاسلام .

واستجاب الاقرع للتوجيه والارشاد، وحسن اسلامه، وسكن المدينة ، وتألقت شخصيته ، مستنيرة بنور الايمان وأشعة القرآن : كان غليظا فرققه الاسلام ، وكان جافيا فهذبه الاسلام ، وكان طامعا فأقنعه الاسلام، وكان متعاليا فنهنه من كبريائه الاسلام .

وانطلق الاقرع فى ركب الرسول الكريم ، يجاهد ويناضل ، فشهد معه غزوة حنين ، وغزوة فتح مكة ، وغزوة حصار الطائف ، وظل يبذل فى سبيل الله جهده حتى لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه ، وواصل الاقرع بعد ذلك جهاده ، فاشترك مع شرحبيل بن حسنة فى موقعة « دومة الجندل » فى عهد أبى بكر ، رضوان الله عليه ، ثم اشترك مع خالد بن الوليد ، سيف الله المسلول ، فى معارك فتح العراق والانبار ، وكان على مقدمة الجيش فى أغلب الاحيان .

كما اشترك فى معركة اليمامة .

---

(١) التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٣٢٤ .

ثم انتقل الى ميدان جديد من ميادين النضال والطعان ، هناك بعيدا فى بلاد العجم ، وفى منطقة خراسان ، حيث جاهد مع الاحنف بن قيس وعبد الله ابن عامر ، وهما بطلان علمان من أبطال هذه الامة الربانية المؤمنة .

ثم تولى الاقرع بن حابس امارة الجيش المجاهد فى خراسان ، حيث خاض معركة تسمى «معركة الجوزجان » ، نسبة الى « الجوزجان » ، وهى بلدة من بلاد خراسان ، ويذكر ياقوت فى « معجم البلدان » أن يحيى بن زيد حفيد الامام على، استشهد فى الجوزجان.

وكانت معركة الجوزجان معركة شرسة قاسية ، وكان الاقرع بن حابس يقاتل فيها ، وحوله عشرة من أهل بيته ، كل منهم قد باع نفسه لربه ، وكان لابد من الفتح باذن الله وفضله .

وتحقق نصر الله ، وفتحت الجوزجان سنة ثلاث وثلاثين ، فى عهد عثمان .

ولكن ، كان هناك ثمن لهذا الفتح ...

فقد استشهد عدد كبير من المسلمين ، وكان فى طليعة من ذاق الشهادة : الاقرع بن حابس رضى الله عنه ، وذاق تلك النعمة معه أولئك العشرة الكرام ، الذين احاطوا به من أهل بيته ، رضوان الله على الجميع (١).

وهناك ، فى بلدة الجوزجان ، من بلاد خراسان ، رقد جثمان الصحابى المناضل الشهيد : الاقرع بن حابس ،

(١) انظر البداية والنهاية ، ج ٧ ص ١٦٠ . وبلوغ الارب ، ج ١ ص ٣١٥ . وهناك رواية عن الشاطبى أن الاقرع استشهد باليرموك بين عشرة من أهل بيته (التحفة اللطيفة ، ج ٧ ص ٣٢٤) .

الفليظ الذى هذبه الاسلام، الشريف الذى زاده الاسلام شرفا وعزا .

فسلاما سلاما على من استجاب لـكلمة الله ، واهتدى بهدى الله ، ومضى عزيزا كريما فى سبيل الله .

ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

« ان المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

« والذين جاهدوا فيها لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

الشهيد غسيل الملائكة

حنظلة بن أبي عامر الانصاري

من المبادىء التي ينبغي ان نفهمها من الاسلام ، ان اى عمل مشروع من أعمال الدنيا، يصير طاعة لله تبارك وتعالى، وسببا للثواب عنده ، اذا عمره الاخلاص ، والنية الطيبة ، والمقصد الكريم ، حتى ولو كان هذا العمل اكلا أو شربا او لبسا أو شهوة .

وقد تربط يد الله العلى الكبير بين موطن تبدو فيه المتعة الحسية ، أو النعمة المادية ، وموطن يسمو بمعنوياته وتضحياته الى أعلى عليين .

وهذا مشهد من حياة أحد الصحابة الاكرمين، يجلى لنا هذا المعنى الدقيق :

ان هذا الصحابى هو المجاهد البطل الشهيد : حنظلة بن أبى عامر عمرو بن صيفى الانصارى الاوسى المدنى ، الذى كان من سادات الصحابة وفضلائهم ، وكان من أهل « الصفة » الاتقياء الاوفياء .

وقد آخى النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بين حنظلة والمجاهد البطل الشهيد شماس بن عثمان . ونحن نشهد هنا كيف تكون هذه المؤاخاة النبوية مظهرا رائعا من جمع الاقران بالاقران، ووصل الأشباه بالأشباه، وكأن

يد القدر هى التى كانت تحرك لسان الرسول وهو يؤاخى بين المهاجرين والانصار ، ليجمع الند بنده ، والقرين بقرينه .

وهذه ناحية يجب أن نتتبعها بتفصيل وتحليل فى السيرة العطرة ، لنستعرض مزيدا من وجوه التشابه فى العمل أو القول أو المصير بين هؤلاء المتآخين .

شماس هذا قد هاجر الى الحبشة ، وجاهد كما جاهد حنظلة ، وشهد غزوتى بدر وأحد ، وأبلى فيهما بلاء حسنا ، وبالغ فى الدفاع عن النبى يوم أحد حين غشى على رسول الله ، وأصيب شماس بجراح كثيرة حتى ارتث (١) ، فحماوه وبه رمق الى المدينة ، فلم يلبث الا يوما وليلة ، لم يذق طعاما أو شرابا ، وهو بين الحياة والموت ، حتى لحق بربه .

فعده الرسول صلى الله عليه وسلم من شهداء غزوة أحد ، وأمر بحمله الى مقبرة شهدائها ، ودفنه فيها بلا غسل ولا تكفين ولا صلاة ، فحسبه استشهاده وهو فى عز شبابه ، فقد كان يومئذ فى الرابعة والثلاثين من عمره

ومن يدرى ... لعل مضجعه حين دفن كان الى جوار أخيه فى الاسلام ، وشبيهه فى البطولة ، وشريكه فى الشهادة ، حنظلة بن عامر الذى لقى ربه شهيدا فى غزوة احد أيضا (٢) .

يقول ابن سيد الناس فى كتابه « عيون الاثر » عن شماس بن عثمان :

---

(١) ارتث : الارتثاث هو أن يحملوا الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح ، والرثيث أيضا الجريح ، كالمرتث » (النهاية) .

(٢) اقرأ تفاصيل بطولة شماس فى كتابى : « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ٢٢٨ وما بعدها .

« قتل يوم أحد ابن اربع وثلاثين سنة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرمى ببصره يمينا ولا شمالا يومئذ الا رأى شماسا فى ذلك الوجه ، يذب بسيفه عنه، حتى غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ، فترس بنفسه دونه ، حتى قتل ، فحمل الى المدينة وبه رمق ، فأدخل على عائشة ، فقالت أم سلمة : ابن عمى يدخل على غيرى ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احملوه الى ام سلمة ، فحمل اليها ، فمات عندها ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد الى أحد فيدفن هنالك كما هو فى ثيابه التى مات فيها ، بعد أن مكث يوما وليلة ، الا أنه لم يأكل ولم يشرب .

ولم يصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يغسله » (١) .

***

ونعود الى بطلنا حنظلة ...

كان حنظلة قد خطب لنفسه فتـاة ، هى « جميلة بنت عبد الله بن أبى » . واستأذن حنظلة النبى فى أن يدخل عليها ، فأذن له ، وكان ذلك فى الليلة السـابقة لغزوة أحد .

ولعـل النبى صلى الله عليه وسلم قد أذن له بذلك لأمر يعلمه الله ، ويكشفه للانظار بعد ذلك ، فتكون فيه عبرة وعظة ، وحكمة وذكرى .

وأفضى حنظلة الى عروسه ، فضمهما فراش واحد لأول ليلة ، ثم سمع حنظلة صوتا ينادى الى الجهاد ليلتئذ ، فشغله الصـــوت عن كل شىء ، وأعجلتـه

---

(١) عيون الاثر ، ج ٢ ص ٣٥ .

الاستجابة السريعة حتى عن الاغتسال (١) .

ودخل حومة القتال ، فجاهد ما جاهد ، وتصارع مع ابى سفيان الذى كان حينئذ مشركا ، فطعن حنظلة حصان أبى سفيان ، وأوقعه من فوقه ، وتمكن منه ليضربه الضربة القاضية ، فجاء من الخلف رجل مشرك اسمه : شداد بن الاسود ، وطعن حنظلة طعنة قاتلة ، فسقط شهيدا .

ومضت المعركة حتى نهايتها ، ثم تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حنظلة الشهيد فقال لاصحابه :

ما شأن حنظلة ؟ ان صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله (يعنى زوجته) ما شأنه ! ..

فسئلت زوجته عن ذلك فقالت : سمع الهيعة (اى صيحة الحرب التى فيها فزع) (٢) وهو جنب ، فخرج ولم يتأخر للاغتسال !..

فلما بلغ كلامها مسمع النبى قال : لذلك غسلته الملائكة . لقد رأيت الملائكة تغسله فى صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والارض .

وروى أن جبريل عليه السلام اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبر الرسول به أصحابه .

ويروى أنهم التمسوا حنظلة بين القتلى ، فوجدوا راسه يقطر ماء ، وليس بقربه ماء ، فكان ذلك تصديقا لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا مستندا لمن قال من الفقهاء : ان الشهيد يغسل اذا كان جنبا ، وبعضهم يقول : لا يغسل كسائر الشهداء ،

---

(١) يروى أنه قام عند الفجر فصلى ، ثم عاد الى النوم ، ثم عاشر زوجته ، ثم سمع الصيحة ..

(٢) ويقال لها أيضا : الهائعة ، أو الهاتفة .

لان التكليف سقط عنه بالموت ، فهو غير مكلف بالاغتسال حينئذ .

ومنذ ذلك اليوم وحنظلة يلقب بلقب « الغسيل » او : « غسيل الملائكة » ، فلا يفتح الانسان كتابا من كتب السيرة العطرة الا ويقرأ فى أخبار غزوة أحد قصة « حنظلة غسيل الملائكة » .

وهكذا اتصل هـذا اللقب فى بدايته وسببه بمتعة حسية جنسية كانت بين زوج وزوجته ، فى بداية حياتهما الزوجية ، وارتفع هذا اللقب فى خاتمته حتى اقترن بملائكة الرحمن ، وهم العباد المكرمون ، الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وتزكي هـذا اللقب ـ برغم اتصاله بناحية اللذة والشهوة ـ حتى صار تذكيرا رائعا بأولئك الذين صدقوا ، وباعوا لله انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فهم لايتحركون الى ساحة الجهاد برهبة أو خوف ، ولا يساقون الى القتال باكراه أو ارغام ، وانما يسارعون الى ساحات الجهاد بلا توقف أو تلبث ، لانهم يرونها مسالك تؤدى بهم الى جنات النعيم ، والى رضوان الله المقيم ، من أقرب طريق .

ولأنهم قد وعوا خير الوعى قول سيدنا وقائدنا ورائدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع هيعة طار اليها » .

وهـذا تصوير لا مثيل له لاستعداد الجندى المؤمن ويقظته ، فهو دائما فى حالة انتباه تام ، وتأهب كامل ، وترقب شامل ، فما يكاد يسمع أى صوت يستدعى البدء فى القتال ، حتى يطير طيرانا الى البذل والتضحية والفداء .

وتروى السيرة العطرة من مكارم حنظلة غسيل الملائكة وشمائله ، أن زوجته « جميلة » رأت فى نومها ، فى الليلة الوحيدة التى نامها معها ، كأن بابا فى السماء قد فتح أمام حنظلة ، فدخل منه ، ثم أغلق الباب عليه .

فأدركت « جميلة » من رؤياها هذه أن زوجها سيلقى الشهادة عما قريب .

وكذلك كان ...

كما كان من عجيب صنع الله تبارك وتعالى أن « جميلة » حملت من زوجها حنظلة فى هذه الليلة ، وبعد مدة الحمل ولدت ابنا سمى : « عبد الله بن حنظلة » ونشأ عبد الله رضى الله عنه فاضلا خيرا ، حتى ان أهل المدينة اختاروه ليكون واليا عليهم ، حين خلعوا يزيد ابن معاوية لانحرافه وفسقه .

وهكذا أراد الله سبحانه أن ترتبط «جميلة» بالشهيد المبارك غسيل الملائكة ، فتكون زوجته فى الدنيا والآخرة ، وتحتمل فقده خير احتمال ، وتكون أم ولده النجيب الصالح ، فترى فيه صورة من أبيه ، وعوضا عنه ، حين تراه : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » .

****

لقد كرم رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ شهداء احد ، فقال فيهم : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

ثم دعا لهم ، ذاكرا فضلهم وجهدهم ، فقال : « أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة » .

ثم عاد بعد حين فدعا لهم ، فقال : « أنا شهيد على

هؤلاء ، انه ما من جرح يجرح فى سبيل الله ، الا والله بعثه يوم القيامة يدمى جرحه : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » !..

وهكذا يجعل الله عنده موازين لتقدير الاعمال غير موازين الناس ، وانما ترجح موازين العباد عند الله سبحانه ، ويفوزون الفوز الكبير ، اذا أخلصوا لله نياتهم ، واحتسبوا لوجه الله أعمالهم وخطواتهم ، انما يتقبل الله من المتقين .

« وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

رضوان الله تبارك وتعالى على حنظلة الشهيد غسيل الملائكة ، ورضوان الله على جميع الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فكانوا نبراسا يضىء الطريق أمام الأوفياء .

فدائى أمير سرايا

غالب بن عبدالله بن مسعر الليثى

من حقائق التاريخ الواضحة ، وشواهده اللائحة ، ان القائد لابد له من جنود مخلصين ، وأتباع صادقين ، حتى يثق فيهم ، ويتحرك بهم ، ويعتمد بعد الله جل جلاله عليهم . ولا بد للراعى الصالح من رعية صالحة، تعينه على الخير ، وتصده عن الشر ، ولعل هـذا هو الذى جعل عبد الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام يهتف قائلا : من أنصارى الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون .

ولعل هذا هو الذى جعل القرآن المجيد يجمع بين النبى وأتباعه ، فيقول : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ... »

وما أشد حاجة القائد الى الانصار من حوله ، يؤيدونه ، ويستجيبون له ، ويصدقونه النصيحة والتأييد والمعاونة ، فان سيد البشرية محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قال : « ما بعث الله من نبى ، ولا استخلف من خليفة ، الا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى » .

ومع أن أستاذ الانسانية محمدا كان نبيا ورسولا ، ومؤيدا من الله ومعصوما ، وموعودا بالنصر والغلبة ، نقد جعل الله له من حوله كوكبة مشرقة مضيئة من صحابته ، يفدونه بأرواحهم وآبائهم وأمهاتهم، ويسارعون الى طاعته ومرضاته ، ويبادرون الى توجيهه وأمره . وامتن عليه ربه بذلك فقال له : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم » .

وبذلك الاخلاص الراسخ المتمكن المتبادل بين الرسول واتباعه ، أو بين القائد وجنوده ، استطاعوا أن يحيوا حياة العزة والحرية والكرامة ، لايخضعون ولايخنعون، بل يعزون ويرتفعون ، حتى قال القرآن الكريم فيهم: « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » .

وهذا واحد من أولئك الصحاب الاحباب ، الذين صدقوا الله ، وأخلصوا للرسول ، وحرصوا على المسارعة الى مواطن الفخر والاجر ، فكانوا من الفائزين فى الدنيا ويوم الدين :

انه الصحابى الجليل ، والمجاهد القائد ، أمير السرايا: غالب بن عبد الله بن مسعر الليثى ، رضى الله عنه . وقد كان أبرز ما فيه من صفات الخير أنه على استعداد دائم للقيام بالواجب ، وأنه لا يمل الانتقال من ميدان الى ميدان ، وكأن الله قد جعله سيفا له فى يد رسوله ، يسدد به الضربات ، ذات اليمين وذات الشمال ، بلا ضعف أو كلال .

فها نحن أولاء نرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر شوال من السنة الثانية للهجرة ، يبعث

غالب بن عبد الله فى سرية فدائية ، الى أعداء الله من بنى سليم وغطفان ، فيوسع فيهم ـ مع رفاقه ـ الضرب والقتل ، ويغنم منهم غنائم كبيرة ، وبعد أسبوع تقريبا يعود مع رفاقه ظافرين منتصرين الى الرسول الامين ، عليه الصلاة والسلام (١) .

ويواصل غالب كفاحه ، ثم يظهر التبجح والتمرد من بنى الملوح ، فى مكان يقال له « الكديد » فيبعث الرسول اليهم بغالب ، ومعه ستون مجاهدا ، سنة خمس للهجرة ويأمرهم بأن يغيروا على أعداء الله جل علاه ، فيستجيبوا ويقتلوا ويغنموا ، ويعودوا ظافرين (٢) .

ثم يرسله النبى مرة ثالثة فى سرية الى أهل « الميفعة » بناحية نجد ، ومعه مائة وثلاثون مجاهدا ، وكان دليلهم فى الطريق هو « يسار » مولى رسول الله عليه الصلاة والسلام . وكانت هذه السرية سنة سبع ، فى شهر الصوم العظيم : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وماأكثر الروابط التى ربطت بين شهر رمضان ومعارك النزال والطعان ، فى تاريخ اليقين والايمان . وصاحب التوفيق « غالبا » ورفاقه ، فهاجموا الأعداء من بنى مرة ـ وفى رواية من بنى عبد ثعلبة (٣) وقتلوا من تصدى لهم ، وغنموا ماغنموا من الابل والشاء وعادوا ظافرين منتصرين (٤) .

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٢ ص ٤٨٣ .

(٢) الاصابة ، ج ٣ ص ١٨١ . والاستيعاب على هامش الاصابة ، ج ٣ ص ١٨١ .

(٣) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٢٣ .

(٤) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٢٢ . والطبقات لابن سعد ، ج ٢ ص ٨٦ . وعيون الاثر ، ج ٢ ص ١٤٧ .

وهذا شاعر الاسلام احمد محرم فى ديوانه الجليل « مجد الاسلام » يخلد هذه الموقعة ، فيقول فيما يقول :

اسألى يا نجد أرض الميفعه
كيف أمسوا بعد أمن ودعه
وانظرى ما صنع الكفر بهم
من أذى يعجبه أن يصنعه
هو صنو الشر ، أو توأمه
ما ثوى فى موطن الا معه
ما الذى يعصمهم من « غالب »
جذوة الحرب ، وليث المعمعه
جاءهم يقدم من أبطاله
كل ماض لا يبالى مصرعه
يمنع الاسلام من أعدائه
بدم يأبى له أن يمنعه
لو تمشى الموت فى بردته
حين يمشى للوغى ما روعه
أخذوهم أخذة رابية
صادفت منهم نفوسا فزعه
ثم آبوا كالنجوم الزهر فى
نعمة مما أصابوا وسعه

ويقول أيضا عن سريته الى بنى الملوح :

بنى الملوح لا حام ولا واق
طاف الردى ، وتلاقى الشرب والساقى
أتتكم المرهفات البيض زائرة
فاستقبلوها بهامات وأعناق
مشى بها « غالب » فى غير ما وهن
يلف للحرب آفاقا بآفاق

رت به همم الايمان ممعنـــة
فالشرك يرجف من خوف واشفاق

❁❁❁

ثم يرسـل النبى غالب بن عبد الله الليثى مرة رابعة فى شهر صفر سنة ثمان للهجرة ، فى سرية فدائية الى « فدك » ، وهى قرية فى الحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وفى هـذه السرية أوصى غالب رفاقه وزملاءه بالوحدة والاجتماع ، وعدم التفرق أو التنازع ، وآخى بينهم بأخوة الاسلام والنضال .

وقال لهم فيما قال : « لا تعصونى ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : من أطاع أميرى فقـد أطاعنى ، ومن عصاه فقد عصانى ، وانكم متى ماتعصونى فانكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) .

وصـدق غالب فيما قال ، فقد رسم له الرسـول الخطة ، واختاره للامارة ، ووكل اليه مهمة التنفيذ . فهو اذن متبع ، وليس بمبتدع ، فطاعته حينئذ من طاعة الرسول، مادام مهتديا بهديه، ملتزما بأمره ، وطاعة الرسول من طاعة الله تعالى .

وقد صاحب التوفيق « غالبا » مرة أخرى مع رفاق السلاح وزمـلاء الجهاد واخوة الميدان ، فهاجموا وأصابوا ، وغنموا وانتصروا ، والله ولى العاملين .

وجاء عام الفتح الاعظم : فتح مكة ، بعـد سنوات شداد ، قضاها فرسان الرحمن وخيل الله فى النضـال والطعان ، وتهيأت أمام الرسول الفرصة الذهبية للعودة الى مكة وبيت الله الحرام ، وأرادها الرسـول معركة خاطفة بيضاء ، بلا ضـحايا ولا دماء ، وارادها عودة

---

(١) الطبقات لابن سعد ، ج ٢ ص ٩٤ .

مظفرة باهرة ، شعارها : جاء الحق ، وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا .

وقبل أن يتحرك الرسول بجيشه نحو مكة ، أرسل غالب بن عبد الله الليثى سرا ، ليسهل له الطريق بين يديه ، وليكون عينا أمام تحركه ، فلا تفوته صغيرة ولا كبيرة يحتاج الى علمها ، لينبه اليها الرسول .

وقام غالب بمهمته خير قيام ، واستولى وهو فى الطريق على ستة آلاف رأس من الغنم كانت للاعداء المشركين المحاربين . وقد مر النبى صلى الله عليه وسلم على « غالب » وهو فى الطريق يرصد ويلاحظ ويتابع ، وكان الوقت حينئذ فى رمضان شهر الصوم ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أفطر تقويا على الجهاد ، ودعا من حوله الى الافطار ، وقد سقاه غالب من لبن الشياه .

ونادى الرسول على الناس ليفطروا ويشربوا ، وحين قال بعضهم : انى صائم ، رد النبى بقوله : هؤلاء العاصون .

وهكذا أراد نبى الملحمة ورسول الحرية أن يبين للناس أن الاستعداد للجهاد منزلة مقدمة على غيرها من الفروض ، ولذلك وجه المسلمين المجاهدين الى الافطار فى رمضان وهم يحاربون ، ليكون ذلك أقوى لهم على حسن الجهاد .

***

ولقد اشترك غالب بن عبد الله الليثى فى فتح القادسية ، وهو الذى قتل هرمز ملك « الباب » وتولى غالب امارة خراسان فى عهد معاوية ، ولاه امارتها زياد ابن أبيه ، ومات غالب بعد ذلك .

وكان غالب كثير البكاء من خشية الله ، فقيل له : انا نخاف على عينك العمى من طول البكاء !..

فقال : هولها شهادة ! ..

وقيل له مرة اخرى : اما تخاف على عينك من العمى من طول البكاء ؟ ..

فقال : شفاءها أريد .

رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

لقد كان من الذين يحسنون التدبر لقول الله جل جلاله: « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ، وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا ، وقرآنا فرقناه لتقرأه على النـاس على مكث ونزلناه تنزيلا ، قل آمنوا به أو لاتؤمنوا ، ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا تتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ، ان كان وعد ربنـا لمفعولا ، ويخرون للأذقان يبكون ، ويزيدهم خشوعا » .

مجاهد من طرابلس

رويفع بن ثابت البلوى

من الحقائق التى لا تقبل الجدل ، ولا تحتمل الشك، انالله تعالى جعل أمة الايمان واحدة : « وان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون » .

وجعل أبناء هذه الامة فروع شجرة واحدة ، هى شجرة الاسلام والاخوة فى الله : « انما المؤمنون اخوة» .

وجعل الوطن المؤمن كله وحدة متماسكة ، جواز المرور فيه هو شهادة لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

وجعل أبناء هـذا الوطن مترابطين متكافلين كالجسد الواحد ، أو كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدعلى من سواهم» .

ولذلك كان الوطن الاسلامى يمتد فى أرجاء المشرق والمغرب قويا وطيدا ، وكان المسلم يتنقل فى جنبات هذا الوطن العريض الواسع ، آمنا مطمئنا ، عزيزا كريما ، شاعرا بأنه فى بلده وداره ، وبين أهله واخوته ، من حلب الشهباء حتى الدار البيضاء على شاطىء المحيط .

ونحن اليوم ـ مثلا ـ نردد بألسنتنا أن وطننا العربى يمتد من الخليج الثائر الى المحيط الهادر ، ولكننا

نردد ذلك على سبيل التمنى والتطلع والرجاء ، لا على سبيل الوصف للواقع . فياحسرتا على المسلمين فى حاضرهم ، ويا سعه بعدهم عن ماضيهم المجيد .

لقد تفرق الشمل الجميع ، وتمزق الوطن المنيع ، وتقطعت أواصر الاخوة والمحبه والمودة بين ثمانمائة مليون ينتسبون الى الاسلام ، وأصبح بأسهم بينهم شديدا ، فهانوا على أنفسهم ، وعلى الناس ، وعلى الله عز وجل:

انى تذكرت ، والذكرى مؤرقة
مجدا تليدا بأيدينا أضعناه
انى اتجهت الى الاسلام فى بلد
تجده كالطير مقصوصا جناحاه
ويح العروبة ، كان الكون مسرحها
فأصبحت تتوارى فى زواياه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها
وبات يملكنا شعب ملكناه

ولقد كان المؤمن يرى نفسه مسئولا عن أمته وقومه ووطن دينه ، مهما بعدت الديار ، أو تناءت الاقطار ، فالكل ربهم الله ، ورسولهم محمد ، ودستورهم القرآن ، وقبلتهم الكعبة ، وشعارهم الوحدة والعزة ، ورسولهم يقول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

ولذلك كان المسلم يتنقل فى أرجاء الوطن الاسلامى مجاهدا مصلحا ، داعيا الى الخير والى صراط مستقيم .

***

وهذا واحد من السلف ، نراه ينشأ فى وسط الجزيرة العربية ، ويقيم فى المدينة ، ثم يسكن مصر ، ثم يرحل الى أفريقية ، ويدخل المغرب ، ويصبح أميرا

فى طرابلس ، ويجاهد فى شمال افريقية ، ثم يسلم روحه الى بارئها فى مدينة « برقة » وهو امير عليها ، دون أن يحس بوحشة أو اغتراب .

انه الصحابى الجليل ، المجاهد المناضل ، الامير القائد : رويفع بن السكن بن حارثة البلوى الانصارى النجارى المدنى المصرى الطرابلسى الافريقى ، الذى يقول عنه ابن كثير فى « البداية والنهاية » : « صحابى جليل شهد فتح مصر ، وله آثار جيدة فى فتح بلاد المغرب » (١) . ويقول السخاوى عنه فى « التحفة اللطيفة » (٢) : « صحابى ، سكن مصر ، وكان أميرا لطرابلس ، وغزا أفريقية ، ومات فى برقة ، وهو أمير عليها » .

كان رويفع ينزل مكانا فى الجزيرة يسمى «الجناب» ، ثم أسلم وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه (٣) ، وشهد معه مشاهد ، وكانت له فى الجهاد والبطولة مواقف ، وكان صاحب بيان وخطابة .

وقد أراد الله تبارك وتعالى أن يكون رويفع همزة الوصل بين قومه قبيلة « بلى » ورسول الله عليه الصلاة والسلام ، حيث قادهم الى ساحة النبى ليسلموا ، يقول : « قدم قومى فى شهر ربيع الاول سنة تسع ، فأنزلتهم فى منزلى ببنى جديلة ، ثم خرجتهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهوجالس مع أصحابه فى بيته ، فى الغداة ، فقدم شيخ الوفد أبو الضباب ، فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه

(١) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٦١ .
(٢) التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ، ج ٢ ص ٨١ .
(٣) الطبقات ، ج ٤ ص ٧٢ القسم الثانى .

وسلم فتكلم ، وأسلم القوم ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضيافة ، وعن أشـــياء من أمر دينهم فأجابهم ، ثم رجعت بهم الى منزلى ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى بحمــل تمر ويقول : استعن بهذا التمر ، فكانوا يأكلون منه ومن غيره ، فأقاموا ثلاثا، ثم جاءوا الرسول يودعونه ، فأمر لهم بجوائز، كما كان يجيز من قبلهم ، ثم رجعوا الى بلادهم » (١) .

وظل رويفع يناضل ويجاهد فى سبيل الله والامة ، وفى سنة ست وأربعين جعله معاوية أميرا على طرابلس الغرب (فى ليبيا) فغزا وفتح فى شمال أفريقية . وفى سنة سبع وأربعين توجه فى كتيبة بحرية ، وفتح بلدة « جربة » ، وهى بلدة فى بلاد المغرب قرب « قابس » ، ونشر فيها الدين ، وضم أهلها البربر الى جمــــاعة المسلمين .

ووقف رويفع بين رفاقه خطيبا عقب الفتح ، فحذر المجاهدين أن يمس أحدهم شيئا من المغانم خلسة أو دون حق ، حتى يظل جهادهم خالصا لوجه الله ، وحتى يتحقق لهم الايمان على وجهه (٢) . وذكر لهم أنه كان مع رسول الله عليه الصلاة والســلام يجاهد فى غزوة خيبر ، فلما انتصر المسلمون ، وغنموا الغنائم ، وقف الرسول بين صحابته ، فقال لهم :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأخذ دابة من المغنم فيركبها حتى اذا اعجفها (أهزلها) ردها فى المغانم . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبا من المغنم

---

(١) فى تاريخ الطبرى عن أحداث السنة التاسعة : « قدم وفد بلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوى » . ج ٣ ص ٩٦ .

(٢) انظر كتاب رياض النفوس للمالكى ، ج ١ ص ٥٣ .

حتى اذا أخلقه (جعله باليا) رده فى المغانم » (١) .
وقد روى ابن اسحاق هذا الخبر هكذا :
« عن حنش الصنعانى قال :
غزونا مع رويفع بن ثابت الانصارى المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيبا فقال :

أيها الناس ، انى لا أقول فيكم الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسقى ماءه زرع غيره – يعنى اتيان الحبالى من السبى – ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيىء المسلمين ، حتى اذا أعجفها ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فيىء المسلمين حتى اذا اخلقه رده فيه » (٢) .

وهكذا أعطى رويفع المجاهدين درسا فى الامانة ، وتجنب الخيانة ، حتى تظل معهم يد الله تبارك وتعالى.
وكان رويفع بن ثابت البلوى – رضى الله عنه – يشعر بتبعة التبليغ وواجب التذكير بالله عز وجل ، وكان يحس كأنه وارث للرسول فى الدعوة ، فلا بد له من أن يصون الامانة ، ولذلك نراه يقف بين قومه ذات يوم ، وهو يواصل جهاده فى أفريقية ، فيقول :

---
(١) كتاب التمهيد لابن عبد البر ، ج ٢ ص ٢١ .
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٣ ص ٣٦٤ .

« ان الله عز وجل قبض نبيه صلى الله عليه وسلم وخلفنى حتى أخبركم » .

وهنا بلغ به التأثر مبلغه ، فغلبه البكاء ، فجلس حتى هدات دموعه ، ثم قام وواصل كلامه !

وهكذا كان كل صحابى من صحابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، يرى أنه مكلف بالتبليغ ، مسئول عن الدعوة ، لان الله عز شأنه يريد من أمته المؤمنة أن تكون كذلك : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ولذلك تسلسلت جموع الامة الربانية المحمدية ، وانتظم افرادها فى عقد الدعوة الى الله سبحانه : بدأ التبليغ بالرسول الاعظم ، ومن ورائه الصحابة الكرام ، ومن ورائهم التابعون ، ومن ورائهم تابعو التابعين، ومن ورائهم كل من دعا بدعوة الاسلام باحسان الى يوم الدين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن ولوع رويفع بالدعوة أنه ذهب الى موسى بن نصير وقال له :

« انى رايت ان على حقا آن أودك ، وأذكر لك شيئا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرغبك به فى فعل الخير ، وكثرة الصدقة والمعروف ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المعروف من أبواب الجنة. وهو يمنع مصارع السوء » (١) .

وقد بلغ رويفع فى العلم بالحديث الشريف أن روى عنه جماعة ، كما يذكر ذلك السخاوى (٢) .

---

(١) رياض النفوس ، ج ١ ص ٥٣ .
(٢) التحفة اللطيفة ، ج ٢ ص ٨١ .

توفى رويفع بن ثابت البلوى سنة ست وخمسين للهجرة ، وهو أمير على برقة من جهة مسلمة بن مخلد. وفى « رياض النفوس » أنه توفى سنة ثلاث وخمسين ببرقة (١) . وفى « تهذيب الاسماء » للنووى : « توفى ببرقة أميرا عليها ، وقبره بها ، وقيل : مات بالشام ، والصحيح الاول» (٢) . وقبره مشهور فى الجبل الاخضر ببرقة ، وهو آخر من توفى من الصحابة فى مدينة برقة. رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) رياض النفوس ، ج ١ ص ٥٤ .
(٢) تهذيب الاسماء ، ج ١ ص ١٩٢ .

الشاعر الفدائى الشهيد
قطرى بن الفجاءة المازنى

نحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

وهناك فى تاريخ الاسلام جماعة يسمون أنفسهم « الشراة » ، لانهم جعلوا هذه الآية الكريمة شعارا لهم ، فهم يجاهدون حسب اعتقادهم على أن يكونوا من الذين باعوا نفوسهم لربهم . ومن أعلام هذه الطائفة قطرى بن الفجاءة المازنى الذى أشار الى هذا الشعار حين قال :

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم
بجنات عدن عنده ونعيم

وحين قال ايضا :

فسر نحونا تلق الجهاد غنيمة
نفدك ابتياعا رابحا غير خاسر !

وقطرى هذا هو الشاعر الخطيب البليغ ، الفدائى

الشهيد : أبو نعامة قطرى بن الفجاءة بن مازن بن يزيد الكنانى التميمى ، من رؤساء طائفة الازارقة وابطالهم ، وهو من أهل « قطر » ، وهى تلك الامارة العربية الاسلامية الشقيقة ، التى تقع بين عمان والبحرين ، وكنية قطرى هى « أبو نعامة » نسبة الى فرسه التى كان يقاتل عليها ، وكان اسمها « نعامة » .

وهكذا كان الاسلاف يربطون بين حياتهم وجهادهم ، حتى فى الاسماء والالقاب .

وقد ولد فى مكان يقال له : « الأعدان » ، والأعدان ـ كما فى معجم البلدان ـ ماء لبنى تميم بن مازن .

واذا كان عهدنا بعدد من الشعراء أنهم جبناء ، وأنهم ـ كما يقول القرآن الكريم ـ : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لايفعلون » فقد كان قطرى بن الفجاءة شاعرا خطيبا فارسا ، وكان سيدا عزيزا ، يقول شعره كثيرا فى الحماسة ، ويقرن القول بالعمل ، فهو يدعو الى الجهاد بشعره ، ثم يكون من أوائل الخارجين الى الميدان للقتال ، وهو يدعو الى البذل والتضحية ، ثم يصدق ذلك بعمله .

ولذلك يقول عنه ابن كثير : « كان قطرى بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة واقدامه ، من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، وجودة الكلام والشعر الحسن »(١) .

ويقول عنه بعض المؤرخين : «كان طامة كبرى ، وصاعقة من صواعق الدنيا فى الشجاعة والقوة » .

ولذلك لم يكن عجيبا أن يقول هذه الابيات عن حديثه الى نفسه :

(١) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٠ .

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم
على الاجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود بمستطاع (١)

ولقد وصف ابن كثير هذه الابيات بقوله : « فمن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ، ومن سمعها انتفع بها » ثم يورد الابيات ، ثم يقول عنها : «ذكرها صاحب الحماسة ، واستحسنها ابن خلكان كثيرا » (٢).

ولم يكن قطرى يقاتل أو يجاهد زهوا أو تباهيا ، أو طلبا لمتاع الحياة وزينة الدنيا . بل كان يجاهد بمقتضى مبدئه وعقيدته ، وكان يجاهد تطلبا للشهادة ، وحرصا على التقوى ، وطلبا للآخرة ، وفرارا من خداع الفانية ، ولذلك كان يردد قوله :

حتى متى تخطئنى الشهاده
والموت فى أعناقنا قلاده
ليس الفرار فى الوغى بعاده
يارب زدنى فى التقى عباده
وفى الحياة بعدها زهاده

وهو القائل يصور شجاعته واقدامه :

لا يركنن أحد الى الاحجام
يوم الوغى متخوفا لحمام
فلقد أرانى للرماح دريئة
من عن يمينى مرة وأمامى

---

(١) كتاب الفداء فى الاسلام ، ص ٥٠ الطبعة الثانية .
(٢) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٠ و ٣١ .

حتى خضبت بما تحدر من دمى
أكتاف سرجى أو عنان لجامى
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب
جذع البصيرة قارح الاقدام (١)

وهو أيضا القائل :

ألا أيها الباغى البراز تقر بن
أساقك بالموت الذعاف المقشبا
فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة
على شاربيه فاسقنى منه واشربا (٢)

والتساقى أن يسقى بعضهم بعضا ، والذعاف : السم السريع ، والمقشب ، الذى خلطوا به أدوية تقويه .

ولقد شارك قطرى فى معركة « دولاب » حيث جرت الحرب بين جماعة قطرى وأهل البصرة ، وفخر قطرى ماشاء له الفخر بما فعل يوم « دولاب » ، ونظم فى ذلك قصيدة جعل مطلعها :

لعمرك انى فى الحياة لزاهد
وفى العيش ما لم ألق أم حكيم

ومنها قوله :

ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت
طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طغت غلمان بكر بن وائل
وعجنا صدور الخيل نحو تميم
فلم أر يوما كان أكثر مقعصا
يمج دما من قائظ وكليم

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزى ، ج ١ ص ١٣٠ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢١٩ .

وضــاربة خــدا كريما على فتى
أغر نجيب الامهـــــــات كريم
أصيب بدولاب ولم تكن موطنـا
له أرض دولاب ودير حميـم
فلو شـــهدتنا يوم ذاك وخيلنـا
تبيح من الـــكفار كل حريم
رأت فتيـة باعوا الاله نفوسـهم
بجنات عدن عنـــده ونعيم (١)

***

واذا كان الحق جل جلاله يقول فى وصف اتبـاع الرسول عليه الصلاة والسلام : « أشـداء على الكفار» فقد أوتى قطرى بن الفجاءة صورة فى ملامحه وهيئتـه ترعب وتخيف ، فقد كان صـاحب رهبة ومهابة . ولقد كان يهاجم أعداءه أحيانا وهو ملثم ليفجأهم برؤيتـه وهيبته حين يقتربون منه .

ولقد حدث أن هاجم أحد أعدائه ، فلما دنا منه كشف قطرى عن وجهه ، فارتعد عدوه وولى هاربا ، فنـادى عليه قطرى يقول : « أما تستحيى أن تفر ولم تر طعنا ولا ضربا » ؟

فقال الرجل المولى هاربا : ان الانسان لا يستحيى أن يفر من مثلك (٢) !

ولذلك يروى أن أصحابه « الازارقة » كانوا يهابونه ويعظمونه ، ولعل من مظاهر ذلك انهم ظلوا سـنوات يسلمون عليه بالخلافة ، وينعتونه : « أمير المؤمنين » . وهـذا أمر غير بعيـد مما يحرص عليه قادة الجيوش

---

(١) رحلة الشعر من الامـوية الى العباسية للدكتور الشـكعة ، ص ٦٦ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٠ .

الآن من تعويد الجنود ـ وبخاصة أفراد فرق الصاعقة وما أشبهها ـ على الفلظة والشدة على الاعداء ، ولعل كلمة « وحش » التى ينادون بها الجندى أحيانا مظهر من مظاهر هـذا الاعداد .

والفلظة على الاعداء البغاة الطغاة لا تبعد عن منطق القرآن الـكريم ، فهو يقول : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـــل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . ويقول : « قاتلوا الذين يلونكم من الـكفار وليجدوا فيكم غلظة » . ويقول : « يا أيها النبى جاهد الـكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

***

وكان لقطرى بن الفجاءة زوجة بطلة مقاتلة مناضلة ، مجاهدة فدائية اسمها : « أم حكيم » . وكانت من أجمل النساء وجها ، ومع ذلك كانت من أحسن النساء بالدين تمسكا ، ومن أشجع النـــاس قتالا وجهادا ، وكانت تتمنى أن تهيىء لها الاقدار ـ وهى تجاهد ـ بطلا أقوى منهـا ، يقطع رأسها فى سبيل الله عز وجل ، لتنـال نعمة الشهادة ، فتفوز بثوابها عند ربها ، ولكى تستريح من غسل شعرها ودهنه وتمشيطه ، فتقول وهى فى حومة الوغى :

أحمل رأســا قد مللت حمله
وقد مللت دهنـــه وغســـله
الا فتى يحمل عنى ثقله ؟ (١)

وهناك ظاهرة تاريخية فى حيـــاة هؤلاء الفدائيين الشراة ، وهى أن الـكثير من رجـالهم كانت زوجاتهم

(١) كتاب الفداء فى الاسلام ، ص ٤٧ الطبعة الثانية .

مجاهدات فدائيات مؤمنات ، تعرضن للقتال فى ساحات النضال ، فى سبيل العقيدة والمبدأ .

***

ويروى الجاحظ خطبة لقطرى بن الفجاءة ، يصور فيهـا الدنيـا وخدعها تصـويرا رائعا أخاذا ، ويحذر النـاس شرها وشررها ، وخطرها وضررها ، ويذكر الجاحظ أن هذه الخطبة خطبها قطرى من فوق منبر الازارقة ، حيث صعده ، وحمـد الله تبارك وتعالى ، واثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فانى أحذركم الدنيـــــا ، فانها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات ، وراقت (أعجبت) بالقليل، وتحببت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم حبرتها ، ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة ، خوانة غدارة ، وحائلة زائلة ، ونافدة بائدة ، أكالة غوالة، بدالة نقالة ، لا تعدو اذا هى تناهت الى أمنيـة أهل الرغبة فيهـا ، والرضـا عنهـا ، أن تكون كما قال الله تعالى : « كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبـات الارض ، فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا » .

مع أن أمرأ لم يـكن منها فى حبـرة الا اعقبته بعـدها عبرة (دمعة) . ولم يلق من سرائها بطنا ، الا منحته من ضرائها ظهرا ، ولم تطله غيثة رخاء ، الا هطلت عليه مزنة بلاء ، وحرى اذا أصبحت له منتصرة ، أن تمسى له خاذلة متنكرة ، وان جانب منها اعذوذب واحلولى (صار عذبا حلوا). أمر عليه منها جانب وأوبى (أصاب بالوباء) ، وان أتت امرأ من نضارتها ورفاهيتها نعما ، أرهقته من نوائبها تعبا ، ولم يمس امرؤ منها فى جناح

امن . الا أصبح منها على قوادم خوف .

غرارة ، غرور ما فيها ، فانية فان ما عليها . لا خير فى شىء من زادها الا التقوى ، من أقل منها استكثر مما يؤمنه . ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه (يهلكه) ، ويطيل حزنه ، ويبكى عينيه .

كم واثق بها قد فجعته ، وذى طمأنينة اليها قد صرعته ، وذى اختيال فيها قد خدعته ، وكم من ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا ، وذى نخوة قد ردته ذليلا ، وكم من ذى تاج قد كبته (صرعته) لليدين والفم .

سلطانها دول ، وعيشها رنق (كدر) ، وعذبها أجاج ، وحلوها صبر ، وغذاؤها سمام ، وأسبابها رمام ، وقطافها سلع (شجر مر) ، حيها بعرض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اهتضام ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب (مسلوب) ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الحكم العدل : « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » .

ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا ، وأوضح منكم آثارا ، وأعد عديدا ، وأكثف جنودا ، وأعتد عتادا ، وأطول عمادا ، تعبدوا للدنيا أى تعبد (صاروا لها عبيدا) وآثروها أى ايثار ، وظعنوا عنها بالكره والصغار .

فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية ، أو اغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب (بأمر) ؟ بل قد أرهقتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها ، وأخلد

اليها ، حين ظعنوا عنها لفراق الابد ، الى آخر الامد.
هل زودتهم الا السغب (الجوع) ، وأحلتهم الا الضنك.
أو نورت لهم الا الظلمة ، او اعقبتهم الا الندامة ؟..

افهذه تؤثرون ؟ أم على هـذه تحرصون ؟ أم اليها تطمئنون ؟.. يقول الله جـل ذكره : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » .

فبئست الدار لمن لم يتهمها ، ولم يكن فيها على وجل منها .

فاعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ انكم تاركوها لابد . فانما هى كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، واذا بطشتم بطشتم جبارين » .

واتعظوا فيها بالذين قالوا : « من أشد منا قوة » ؟.. حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا ، وأنزلوا الاجداث فلا يدعون ضيفانا ، وجعل لهم من الضريح أكنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرفات جيران ، فهم جيرة لايجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضيما ، ولا يبالون مندبة (الندب على الميت) . ان أخصبوا لم يفرحوا ، وان قحطوا لم يقنطوا ، جمع وهم آحاد ، وجيرة وهم أبعاد ، متناءون لايزورون ولا يزارون ، حكماء قد ذهبت أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجعهم ، ولا يرجى دفعهم ، وكما قال الله تعالى : « فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » .

استبدلوا بظهر الارض بطنا ، وبالسعة ضيقا ، وبالاهل غربة ، وبالنور ظلمة ، ففارقوها كما دخلوها ، حفاة ،

عراة ، فرادى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة والى خلود الابد ، يقول الله تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » .

فاحـذروا ما حـذركم الله ، وانتفعوا بمواعظه . واعتصموا بحبله ، عصمنا الله واياكم بطاعته ، ورزقنا واياكم أداء حقه » .

ومع أن أكثر من مصدر قد روى هذه الخطبة ، مثل البيان والتبيين ، والعقد الفريد ، وصبح الاعشى ، فان ابن أبى الحديد فى « شرح نهج البلاغة » ، قد شكك فى نسبة هـذه الخطبة الى قطرى ، وحاول تعليل نسبة من نسبها اليه ، فقال بعد شرحه للخطبة :

« واعلم أن هـذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ، ورواها لقطرى بن الفجاءة ، والناس يروونها لامير المؤمنين عليه السلام ، وقد رأيتها فى كتاب « المونق » لأبى عبيد الله المرزبانى ، مروية لامير المؤمنـين عليه السلام ، وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه .

وليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها من بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فان الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقى قطرى أكثرهم » (١) .

***

ولقد ظل قطرى بن الفجاءة يجاهد ويناضل ، حتى سقط شهيدا من أجل عقيـدته ومبدئه ، سنة تسع وسبعين للهجرة . روى أنه اقتتل مع أعدائه بطبرستان، فعثر به فرسـه ، فوقع على الارض ، وتـكاثر عليه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٢ ص ٧٣٨ .

اعداؤه فقتلوه .

وقيل ان الذى تولى قتله هو ســـــودة بن الحر الدارمى (١) .

وذكر الطبرى أنه توفى سنة سبع وسبعين ، وقيل سنة ثمان وسبعين ، وقيل ان سفيان بن الابرد الكلبى توجه اليه فقاتله حتى قتل فى المعركة بالرى أوطبرستان. وجاء فى كتاب « العبر » أنه قتل سنة تسع وسبعين (٢) وهذا هو الارجح .

وقد وقع خطـأ فى كتاب « تاج العروس » فى مادة « فجـأ » ـ طبعة الكويت ـ حيث جاء فيه ان قطـريا مات سنة تسع وسبعين ومائة ، وهذا خطأ ، فليصحح.

رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٠ .
(٢) العبر ، ج ١ ص ٩٠ .

مجاهدة قرينة شهداء

أم حكيم بنت الحارث بن هشام

تعالوا بنا نتعرف الى مسيرة امرأة مسلمة عظيمة ، عاشت بين أهل الحق والصدق ، وبين أهل الوفاء والفداء ، فكانت قرينة شهداء ، وعلا مقامها بين المناضلين الشرفاء ، وأسهمت بنصيبها البارز فى التسامى بمكانة المرأة المسلمة الى مرتقى كريم ملحوظ ، وما أجمل أن تستظل المرأة مع الرجل بظلال اليقين والايمان ، والصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه يقول : « النساء شقائق الرجال » .

انها المسلمة الشريفة ، المؤمنة العفيفة ، الصحابية الجليلة ، العابدة المجاهدة : أم حكيم بنت الحارث بن هشام .

وأبوها هو الحارث بن هشام ، المجاهد الشهيد ، الذى بايع بيعة الموت فى احدى معارك الشام ، وجاهد حتى وفى بحق هذه البيعة ، ونال نعمة الشهادة (١) .

وقد تزوجت أم حكيم ثلاث مرات ، وكان أزواجها الثلاثة من الشهداء .

---

(١) انظر تفاصيل بطولته فى كتابى « أبطال عقيدة وجهاد » ص ٢١٩ _ ٢٣٥ .

وزوجها الاول هو عكرمة بن ابى جهل ، المجاهد الذى نال نعمة الشهادة فى معركة « اجنادين (١) من أرض فلسطين _ ردها الله على العرب والمسلمين .

وزوجها الثانى هو خالد بن سعيد بن العاص ، المجاهد البطل ، الذى نال نعمة الشهادة فى معركة «مرج الصفر » .

وزوجها الثالث هو الخليفة البطل عمر بن الخطاب الذى نال نعمة الشهادة وهو فى المحراب .

وهكذا عاشت أم حكيم موصولة الاسباب بدماء الشهداء وأنفاس الابطال ، فلا عجب أن تصير بطلة ، تثبت أنها انتفعت بمعاشرة هؤلاء الاوفياء ، عليهم الرحمات والبركات .

لقد أسلمت أم حكيم يوم الفتح ، واقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعته بيعة الاسلام والايمان (٢) ، ووفت لهذه البيعة خير الوفاء ، وكان زوجها حينئذ هو عكرمة بن أبى جهل (٣) ، الذى أهدر الرسول دمه ، لما فعله وهو كافر .

وكأن أم حكيم كانت تحس بفريزة الزوجة ان اهتداء زوجها الى نور الاسلام يسير غير عسير ، ولكن عكرمة خاف عقاب الرسول ، فأطلق ساقيه للريح ، وفر هاربا نحو اليمن .

وعلمت ام حكيم بذلك ، فسارعت بالذهاب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فاستأذنته فى أن تذهب وراء زوجها لتعود به ، فأذن لها النبى الكريم

---

(١) اجنادين : موضع فى أرض فلسطين ، يقع بين الرملة وبيت جبرين .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٨ ص ١٩١ .

(٣) انظر فيما سبق تفاصيل الحديث عن عكرمة .

الرحيم ، وأعطاها الامان له ، فعجلت أم حكيم بملاحقة زوجها حتى أدركته ، وطمأنته ، وعادت به الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، حيث أسلم عكرمة ، واقرهما النبى على زواجهما ، وصار عكرمة من فضلاء الصحابة وصالحى المسلمين ، وعكف على العبادة والجهاد فى سبيل الله ، وكان له أثر عظيم فى حروب الردة ، ونال نعمة الشهادة فى حروب الشام .

وهكذا صدقت فراسة أم حكيم ، وأنقذت زوجها من القتل ، ومن ضلال الشرك والكفران .

ويروى عكرمة عن نفسه أن الذى وجهه الى الاسلام فى أول الامر ، أنه حين فراره أراد أن يركب البحر الى الحبشة ، فلما هم بركوب السفينة ، قال له صاحبها - وكان رجلا مؤمنا - : ياعبد الله ، لا تركب سفينتى حتى توحد الله ، وتخلع ما دونه من الانداد ، فانى أخشى ان لم تفعل أن نهلك فيها .

فقال له عكرمة : الا يركبها أحد حتى يوحد الله ويخلع ما دونه ؟

أجابه : نعم ، لايركبها أحد الا اذا أخلص التوحيد .

فقال عكرمة لنفسه : ففيم أفارق محمدا ؟ فهذا التوحيد هو الذى جاءنا به ، فوالله ان الهنا فى البحر هو الهنا فى البر !

وأحس عكرمة حينئذ بنور الاسلام فى صدره .

يقول عكرمة : فعرفت الاسلام عند ذلك ، ودخل قلبى (١) .

كما يروى أن أم حكيم حين ذهبت لاحضار زوجها عكرمة من اليمن ، كان فى رفقتها عبد رومى لها ، وفى

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٥٩ . وللحادثة أكثر من رواية .

الطريق راودها العبد الخسيس عن نفسـها ، وهم باغتصابها ، فاحتالت أم حكيم عليه ، فأطمعته بالوعد ، واستمهلته الى أجل ، حتى أتت حيـا من العرب ، فاستنجدت بهم ، وقصت عليهم قصة العبد الخئون ، ورجتهم أن يوثقوه عندهم حتى تعود مع زوجها .

فغضب القوم لها ، وفعلوا ما أرادت .

وحين عادت أم حكيم مع زوجها عكرمة قصت عليه قصة ذلك العبد ، فقتله عكرمة وهو فى الطريق ، قبل أن يعلن اسلامه .

وظلت أم حكيم مع عكرمة زوجة وفية زكية ، حتى جات معركة أجنادين ــ وقيل اليرموك ــ فخرج اليها ، وخرجت معه ، وهناك نال نعمة الشهادة ، فسلك طريقه الى فراديس الرضوان .

ثم تزوجت أم حكيم من خالد بن سعيد بن العاص ، خامس شخص دخل الاسلام، وأول من كتب فى أوراقه : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ولم يطل زواجه بها ، فقد اراد الدخول بها عقب عقده عليها ، ولكن المسلمين كانوا فى انتظـار معركة (١) ، فقالت له راجية : لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع !

فقال لها : ان نفسى تحدثنى انى سأقتل ، وانى سأصاب فى جموعهم .

قالت : فدونك .

فدخل عليها عند قنطرة هناك ، فعرفت هذه القنطرة بعد ذلك باسم « قنطرة أم حكيم » .

ثم أصبح خالد فأولم وليمة للناس ، فما فرغوا منها

---

(١) معركة مرج الصفر ، وقيل اجنادين .

حتى أقبل الأعداء ، فخرج خالد ، وجاهد جهاد الأبطال ، حتى نال نعمة الشهادة فى معركة « مرج الصفر » .

ورأت أم حكيم ذلك ، فشدت عليها ثيابها ، وما زال طيب العرس على جسمها ، وخرجت تقاتل بعمود الخيمة — بعد أن انتزعته — على مقربة من القنطرة .

ويروى التاريخ أنها قتلت بهذا العمود سبعة من الأعداء الروم ..

فازداد الناس استمساكا بتسمية تلك القنطرة خلال عصور التاريخ ، باسم « قنطرة أم حكيم » (١) .

ومع أن أم حكيم البطلة الرائعة قتلت هؤلاء السبعة بعمود خيمتها ، بقرب قنطرة أم حكيم ، شاءت لها الاقدار أن تخرج من المعركة سالمة ، وان أصابتها طعنات وجراح .

وتألق اسمها العظيم فى تاريخ المجاهدات فى سبيل الله عز وجل .

وكأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قد أعجب بها وببطولتها ، فتزوجها (٢) وهى الثيب التى تزوجت قبله بأكثر من زوج ، ولكنها صاحبة البطولة والشجاعة والقوة .

ومن عجيب صنع الأقدار أن هذا الزوج الكريم الثالث قد مات أيضا شهيدا .

وكأن الله عز شأنه قد أراد لأم حكيم ألا تبعد عن دماء الشهداء الزكية ، لتظل موصولة الاسباب بمعانى

---

(١) الطبقات ، لابن سعد ، ج ٤ ص ٧١ و ٧٢ . والروض الانف ، ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

التضحية والفداء ، فان التاريخ يذكر ان عمر ـ رضوان الله عليه ـ كان يدعو فى أخريات أيامه ، فيقول :

« اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وقلت حيلتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط ، اللهم ارزقنى الشهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك عليه الصلاة والسلام » !

واستجاب القدر ...

فمات عمر شهيدا ، وفى المحراب ...

مات وهو يكبر لصلاة الفجر ، وهو يؤم جموع المسلمين فى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ فى المدينة .

مات شهيدا بعد أن بذل فى سبيل الله والاسلام ما بذل ، قبل الهجرة ، وبعد الهجرة ، وفى حياة النبى ، وبعد أن لحق بالرفيق الاعلى .

مات شهيدا حميدا ، بعد أن فتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، وملأ بالعدل شتى الأقطار ، وتمم بناء الدولة المسلمة القائمة على الحق والخير والاحسان .

رضوان الله على عمر ، ورضوان الله على أم حكيم .

صاحب عصابة الموت

أبو دجانة سماك بن أوس الأنصاري

مما يجب أن نتواصى به أن نوقن كل اليقين أنه لانصر الا بايمان ، ولا ايمان الا بعقيدة ، ولا عقيدة الا بدين. والله تبارك وتعالى قد وضع بين أيدينا خير دين : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وهذا الدين قد تفضل علينا ربنا ــ تباركت آلاؤه ــ فأعطانا لتطبيقه صورة باهرة ، ممثلة فى شخص رسوله صلى الله عليه وسلم ، والخيرة الطيبة من أنصاره وأتباعه ، فلنواصل التعرف الى هؤلاء الابطال الذين صدقوا فجاهدوا فى الله حق جهاده ، فضربوا لنا القدوة الحسنة فى المقاومة والنضال ، لعلنا نتشبه بهم ، أو نسير على طريقهم : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابى الجليل ، المجاهد الشهيد : ابو دجانة سماك بن أوس الانصارى ، من قبيلة الخزرج بالمدينة ، اسلم فى طلائع المسلمين من الانصار ، وآخى الرسول ــ عقب الهجرة ــ بينه وبين أحد المجاهدين المناضلين، وهو عتبة بن غزوان .

وعتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازنى ، من السابقين الاولين ، هاجر الى الحبشة ، ثم رجع مهاجرا الى المدينة ، وشهد غزوة بدر وما بعدها ، وولاه عمر فى الفتوح ، فاختط البصرة ، وفتح فتوحا ، واحتمل كثيرا ، ولقد روى الامام مسلم عن عتبة قوله : لقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر .

ولقد قدم على عمر يستعفيه من الولاية ، فأبى عمر ، فرجع عتبة فى الطريق ، وعاش سبعا وخمسين سنة ، ودعا الله فمات ، وروى الحديث عن النبى ، ومما رواه قوله عليه الصلاة والسلام : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » (١) .

ونعود الى بطلنا أبى دجانة :

شهد أبو دجانة غزوة بدر ، وكان فيها وفى غيرها من الابطال الشجعان المتألقين ، وكان رجلا فقيرا ، لا يكاد يملك من حطام الدنيا شيئا ذا بال . ومما يدل على ذلك أن الرسول حينما وزع غنائم بنى النضير جعلها محصورة فى المهاجرين ، حتى يقترب مستواهم الاقتصادى من مستوى اخوتهم الانصار ، ولم يعط منها أحدا من الأنصار الا أبا دجانة وسهل بن حنيف ، حيث كانا من الفقراء .

وقبيل غزوة أحد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، ورفع فى يده سيفا له كان مكتوبا عليه ،

فى الجبن عار ، وفى الاقدام مكرمة
والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال الرسول لاصحابه : من يأخذ هذا السيف بحقه؟

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٢ ص ٤٤٨ .

فقال أكثر من واحد : أنا يا رسول الله .

وكان من هؤلاء عمر الفاروق ، وعلى ابن عم الرسول، والزبير بن العوام وهو ابن عمة الرسـول ، ولكن الرسول لم يعط السيف أحدا من هؤلاء ، ولعل السبب فى هذا هو انهم لم يسألوا عن حق أخذ السيف ، وقد قال الرسول : « من يأخذ هذا السيف بحقه » .

ثم قام أبو دجانة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟..

قال : حقه أن تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى.

فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله .

ولذلك جاء فى صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد ، فقال : من يأخذ منى هذا ؟

فبسطوا أيديهم ، كل انسان منهم يقول : أنا أنا .

فقال : فمن يأخذه بحقه ؟

فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة رضى الله عنه : أنا آخذه بحقه .

فأخذه ففلق به هام المشركين (١) .

وكان أبو دجانة رجلا مقداما ، حريصـا على مواطن البأس ، كأنه يعشقها ويهواها فى سبيل نصرة الحق والعدل ، ولذلك كان يختال بعض الشىء فى مشيته اذا اقبل على الحرب ، كأنه مقدم على لقاء عروس ، فعلق السيف فى وسطه ، وأخرج عصابة حمراء له كان يسميها « عصابة الموت » ، وكان مكتوبا على طرف منها : « الجبن فى الحرب عار ، ومن فر لم ينج من النار » ! وعلى الطرف الآخر : « نصر من الله وفتح قريب » !

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات للنووى ، ج ٢ ص ٢٢٨ .

وكان الانصار اذا رأوه يخرجها يقولون : « أخرج أبو دجانة عصابة الموت » اشعارا بما سيتلو ذلك من نضال شديد عنيف .

وربط ابو دجانة رأسه بالعصابة ، ثم مشى مختالا بين الصحابة ، وهو يردد قوله :

انا الذى عاهـــــدنى خليـلى
ونحن بالسفح لدى النخيـــــل
الا اقوم الدهر فى الـــــكيول
أضرب بسيف الله والرســـول

والـكيول : ـ بفتح الـكاف وتشـديد الياء ـ هو مؤخرة الصفوف .

وتطلع اليه الرســول فقال له : يا أبا دجانة ، انها مشية يكرهها الله الا فى مثل هذا الموطن .

وانما لم يكرهها الله فى مثل هذا الموطن ، لأنها تؤدى الى اثارة الحماس والتنافس ومقاومة التردد والجبن فى بعض النفوس : « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون».

وبدات المعركة ، ومضى أبو دجانة يقاتل بايمان من يحرص على احدى الحسنيين : النصر او الشهادة . يقول ابن اسحاق : « وقاتل ابو دجانة حتى امعن فى الناس » . ويقول ابن هشـــام عن جرأة ابى دجانة : « فجعل لا يلقى احدا الا قتله » .

انطلق ابو دجانة يقاتل كأنه جزء من قدر الله الذى يصبه على اعدائه وأعداء أوليائه . وهذا هو الزبير بن العوام يتألم فى نفسه بعض التألم ، لان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يعطه السيف ، ويقول فى نفسه : « أنا ابن صفية عمته ،ومن قريش (قبيلته) ، وقد قمت اليه ، وســألته اياه قبله ، فأعطـاه أبا دجانة

وتركنى ، والله لانظرن ما يصنع » !

وأخذ ابن العوام يتابع نضال أبى دجانة ، فرآه يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، لايبالى أوقع على الموت . ام وقع الموت عليه ، فقد باع نفسه لربه ، ورآه وهو يقبل على شخص ملثم بين المشركين ، فلما هم أبودجانة بضربه ، ولول هذا الشخص ، واذا هو امرأة ، فلم يقبل أن يقتلها ، ولما سئل عن ذلك قال : « أكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة » !

وأقبل مشرك اسمه عبيد الله بن جابر العامرى نحو الرسول صلوات الله وسلامه عليه يريد قتله ، فوثب عليه أبو دجانة فى سرعة البرق ، وقطع رأسه قبل أن يبلغ الرسول عليه الصلاة والسلام .

وحينما اشتد الامر على المسلمين فى المعركة ، بسبب مخالفة الرماة لأمر الرسول ، ركز المشركين توجيه سهامهم نحو الرسول ، فانحنى عليه أبو دجانة ، وجعل ظهره ترسا يحمى به الرسول صلى الله عليه وسلم . وجعلت السهام تنهال على ظهر أبىدجانة ، وهو لايضعف ولا يتخاذل ، وكيف وهو مؤمن بالله والرسول ، والسيف الذى بيمينه هو سيف الرسول ، والحبيب الذى يدفع عنه هو الرسول ، ولايتحقق ايمان المؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ؟ !

وجاءت مواطن التقدير والتكريم من الرسول العظيم لهذا المجاهد البطل : أبى دجانة الانصارى .

فحينما عاد الامام على بن أبى طالب مع الرسول الى البيت من الغزوة ، أعطى سيفه لزوجته البتول فاطمة الزهراء لتغسله ، وأثنى على السيف ، لانه قد طاوعه

فى الجهاد ، فقال لها مشيرا الى السيف : لقد صدقنى اليوم .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام لعلى : ان تكن احسنت القتال فقد أحسن معك أناس ، منهم أبودجانة وسهل بن حنيف !

وحينما ذهب الرسول فيما بعد الى حجة الوداع جعل ابا دجانة واليا على المدينة حتى يعود .

وظل أبو دجانة يخوض معارك التضحية والبذل ، بلا كلل أو ملل .

وظلت مظاهر التكريم والتقدير تظهر من الرسول لأبى دجانة المجاهد الصابر المحتسب ، حتى لحق الرسول بربه . وظل أبو دجانة على العهد قائما وصادقا، لأنه لم ينس أبدا قول ربه جل جلاله : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين ، وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا ، وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

وحينما قامت حرب اليمامة التى أثار فتنتها عدو الله الاكبر مسيلمة الكذاب ، الذى سعى فى الارض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، سارع أبو دجانة من

جديد الى النضال ، وأبلى بلاء حسنا فى هذه المعركة ، وكان أحد اثنين أو ثلاثة اشتركوا فى قتـــل مسيلمة الكذاب رأس الفساد اذ ذاك (١) .

وكما شارك ابودجانة فى تحقيق الانتصـــارات ، ذاق حلاوة الاستشـــهاد ، فنال نعمة الشهادة فى آخر معركة اليمامة، بعد أن أدى واجبه، ومضىالى ربه راضيا مرضيا ، ليحشر مع النبيين والصديقين والشـــهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

رضوان الله تبارك وتعالى على صاحب عصابة الموت الشهيد ! ..

---

(١) أنظر تفصيل القول فى قاتل مسلمية فى كتابى مسرحية «صراع» ص ٣٢ وما بعدها .

الشهيد صاحب النور

عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى

ان الحياة طرق ومسالك ، وشعاب ومناكب ، وكما يحتاج السائر فى الظلام الى نور وضياء ، يحتاج الانسان فى حياته وتصرفاته الى نور وضياء . واذا كان النور الحسى يصلح لكشف الاشياء المادية ، فان الانسان فى عقيدته وعبادته ، ومبادئه وافكاره ، يلزمه بجوار نور الحس نور العقل والنفس ، حيث يجمع بين البصر والبصيرة ، أو بين النظرة والفكرة .

والقرآن الكريم قد أوجب الحرص على استقامة الطريق واستقامة التدبير ، فقال : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » . وكأن هذه دعوة الى سلامة التفكير ، ووضوح الرؤية ، وتحديد الخطة ، واستقامة الطريق .

ولعل كتاب الله المجيد قد رمز الى هذه البصيرة الواعية القويمة بكلمة « النور » التى ذكر مادتها نحو خمسين مرة ، وزكى حديثه عن « النور » أجل تزكية ، فجعله من صفات الله تعالى ، فقال : « الله نور السموات والارض » .

ومعنى ذلك ان الله هو الذى يبصر بنوره ذو العماية ، ويستقيم بهداه ذو الغواية .

ووصف القرآن الكريم الرسول بأنه نور ، فقال : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » ، وقال عن الرسول : « وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

وجعل دعوة الاسلام نورا ، فقال : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

وامتن الله على المؤمنين بأنه هداهم الى النور : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » .

وجعل أهل الجنة يرجون يوم القيامة أن يكمل الله لهم النور : « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، انك على كل شىء قدير » .

وجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « ان للاسلام صوى ومنارا كمنار الطريق » . والصوى — بضم الصاد وفتح الواو — هى الاعلام المنصوبة على الطريق ، ليستدل بها السائر فى الطريق المجهول . أى أن الاسلام وضع للناس شرائع وعلامات يهتدون بنورها الى سواء السبيل .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدعو ربه ، ليهبه النور فى كل النواحى ، فيقول : « اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى لسانى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعن يسارى نورا ، ومن فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، ومن أمامى نورا ، ومن خلفى نورا ، واجعل لى فى نفسى نورا ، واعظم لى نورا » (١).

---

(١) حديث صحيح .

وهو يقصد ـ طبعا ـ نور الحق وضياء الهداية : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ». ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يردد : « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة » .

ولقد استضاء صحابة رسول الله بنور الله ، فهداهم الله ، وفسح لهم فى حماه ، فعزوا فى هذه الحياة . وكان الواحد منهم يستضىء بنور قلبه وعقله ، أكثر مما يستضىء بنور مصباحه .

وهذا واحد منهم ، نراه وأكبر ما يستعين به فى حركاته وسكناته ، وغدواته وروحاته ، هو نور الايمان الذى يعمر صدره ، فيحمى ظهره ، ويسدد أمره ، ويقوده على الدوام الى مواطن الرشاد والصواب ، ولذلك لقبوه بلقب عظيم كريم ، هو « ذو النور » .

ذلكم هو الصحابى الجليل ، والمجاهد الشهيد : ذو النور عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلى، الذى كان أول من غزا فى سبيل الله فى بلاد الترك . ويقول عنه ابن كثير : « غزا مرات عديدة ، ثم كانت له وقائع مذهلة فى زمن عثمان » (١) رضى الله عنه .

وكان نور ايمانه يجعله على يقين موصول بأن النصر من الله يدوم له ، ما دام سائرا على طريق الوفاء والفداء ، ولذلك كان يردد : « ان الله بعث الينا رسولا وعدنا على لسانه بالنصر والظفر ، ونحن لا نزال منصورين » . وهذا مصداق قول الله تبارك وتعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

وقد عرف عمر الفاروق لذى النور مكانته واخلاصه،

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ١٢٣ .

نجمله – بجوار اشتراكه فى الجهاد – قاضيا لجيش الاسلام الذى قام بمعركة القادسية (١) ، كما عهد اليه بقسمة الغنائم بين المجاهدين . ثم وجهه الى الجهاد فى بلاد الترك والخزر .

والتاريخ يحدثنا بأن ذا النور أبلى بلاء حسنا فى معركة القادسية ، حتى انه قد شـــاهد مجموعة من الاعداء تظللوا براية حفروا لها ، وقالوا : لا نبرح مكاننا حتى نموت .

فحمل عليهم ذو النور ، ومعه أخوه ســليمان بن ربيعة ، فقتلوا هؤلاء وسلبوهم (٢) .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه توغل ذو النور فى بلاد الروم ، ونصحه الخليفة بأن يتريث ولايجازف بنفسه، ولـكن ذا النور أصر على أن يفتح مدينة « بلنجر » ، وكأن فتحها كان أملا عنده ، يريد أن يتوج به فتوحه وغزواته . ولذلك ناضل ثم ناضل ، ونصب حول المدينة المنجنيق والعرادات – وهى آلات ترمى الحجارة الى مكان بعيد – حتى فتحها بفضل الله أولا ، ثم بهذا الايمان العميق الذى يفيض النور أمام المجاهد المخلص هنـــا وهناك .

ويروى التاريخ أن الروم حينما شـاهدوا ذا النور مقبـلا عليهم مع جيش الاســلام ، أطلقـوا سـيقانهم للريح وهربوا ، وقالوا فيما بينهم : « ما اجترأ علينا هذا الرجل وقومه الا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت » .

وهـــذا يذكرنا بقول الله جل جلاله : « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم ، فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٩٨ .
(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٥٦٩ .

قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق ، واضربوا منهم كل بنان » . كما يذكرنا بقول سيدنا وقائدنا ورائدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « نصرت بالرعب من مسيرة شهر » .

وهذا هو ابن كثير يقول عن ذى النور وغزوة الروم : « ثم غزاهم غزوات فى عهد عثمان ، فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم » (١) .

***

و كان فتح « بلنجر » ــ وهى مدينة ببلاد الخزر ــ امنية اخيرة لذى النور عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ، فاستجاب الله له ، وجعلها ختاما كريما رائعا لفتوحه وجهاده ، وأناله فيها نعمة الشهادة .

ويروى أنه حينما اشتدت المعركة يومئذ سمع ذوالنور مناديا ينادى من الجو : « صبرا آل عبد الرحمن ، وموعدكم الجنة » !..

فاندفع ذو النور يقاتل بلا ابقاء على نفسه ، حتى اصيب اصابة قاتلة ، فتسلم منه الراية اخوه سلمان ، فقاتل قتالا شديدا ، حتى نال هو الآخر نعمة الشهادة.

وسلمان هو ابو عبدالله سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو الباهلى الكوفى التابعى ، من كبار التابعين ، وقيل ان له صحبة . شهد فتح الشام ، وسكن الكوفة ، وولاه عمر قضاءها ، وهو أول من تولى قضاء الكوفة ، وكان يمكث اربعين يوما لايأتيه خصم .

واشترك فى غزوة ارمينية ــ وقيل انه استشهد فيها ــ سنة تسع وعشرين ، وقيل سنة ثلاثين ، وقيل سنة

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ١٢٣ .

حدى وثلاثين ، وكان يغزو سنة ، ويحج سنة ، وكان ثقة (١) .

ولقد دفن ذو النور عبد الرحمن بن ربيعة فى مدينة « بلنجر » (٢) .

ولقد أشار الى قبره عبد الرحمن بن جمانة الباهلى حيث قال :

وان لنا قبرين : قبر بلنجر
وقبرا بصين استان ، يا لك من قبر
فهذا الذى بالصين عمت فتوحه
وهذا الذى يسقى به سبل القطر

وقبر بلنجر هو قبر عبد الرحمن بن ربيعة ، وقبر الصين هو قبر قتيبة بن مسلم الباهلى (٣) .

وينبغى أن نلاحظ هنا أن هناك شخصا آخر يلقب بلقب « ذو النور » وهو سراقة بن عمرو (٤) .

***

لقد مضى ذو النور ، ومضى كذلك شقيقه سلمان ، الى رحاب الله ، وقد أتم الله نعمته ، وحقق أمل ذى النور ، ففتحت مدينة « بلنجر » أبوابها لنور الاسلام ، وعدالة المسلمين .

وهناك فى أرض «بلنجر» ـ من بلاد الترك الآن ـ رقد ذو النور فى مثواه الاخير ، وانتشر الاسلام فى تلك البلاد هنا وهناك، وظل أبناؤها ـ بعد أن أناروا قلوبهم بنور الله ـ يذكرون البطل الشهيد ذا النور بالتكريم

(١) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ١ ص ٢٢٨ .
(٢) انظر معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٨٩ .
(٣) انظر معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٩٠ .
(٤) تريخ الطبرى ، ج ٤ ص ١٥٥ .

والتمجيد ، ويستسقون بقبره ، أجيالا بعد أجيال (١).

فسلاما سلاما على المجاهد المؤمن، والشهيد ذى النور، دفين بلاد الترك ، الصحابى الجليل : عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلى، وسلاما سلاما على زميل كفاحه، ورفيق سلاحه ، شقيقه سلمان بن ربيعة الباهلى .

ولنتذكر فيما نتذكر أن قبيلة « باهلة » كانت تضرب مثلا للضعف فى الجاهلية ، فيقال : أضعف من باهلة ، ولكنها فى نور الاسلام وظل الايمان ، خرج منها رجال أبطال .

سلاما سلاما على كل المجاهدين المخلصين الذين يهديهم ربهم بايمانهم الى جنات النعيم .

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ١٢٤ و ١٦٠ . وتاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ٣٠٥ .

الشهيد أمير التوابين

سليمان بن صرد بن الجون الخزاعي

جاء فى السنة النبوية المطهرة : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » . وذلك لأن العمر هو رأس مال الانسان، ينفق منه كل حين ، سواء أراد أم لم يرد ، وكل يوم يمر هو جزء من هذا الرصيد يمضى بلا عودة ، وحسن العمل هو اتقان الاستثمار لهذا المال فى أحسن تجارة ، ولعل هذا هو بعض ما نفهمه من مثل قول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ولقد شهد صدر الاسلام نماذج لرجال كرام ، طالت أعمارهم، وتعطرت أخبارهم، وبقيت من بعدهم آثارهم، وانطوت عن الكثير منا معظم أنبائهم ، وفيهم عشرات – بل مئات – لا نعرف عنهم شيئا ، حتى أسماءهم ، مع انهم آباؤنا وأجدادنا ، وأعلام تاريخنا ، وحملة دعوتنا فى الماضى ، ومستلهم عبرتنا وقدوتنا فى الحاضر والمستقبل .

وهذا واحد منهم :

انه الصحابى الجليل ، المجاهد الصبور ، العابد الشهيد : أبو المطرف سليمان بن صُرد بن الجون الخزاعى الكوفى .

من منا يعرفه ، أو قرأ عنه ، أو سمع به ؟

وهو الذى يقول عنه الامام ابن كثير فى كتابه «البداية والنهاية » : « وقد كان سليمان بن صرد الخزرجى صحابيا جليلا نبيلا ، عابدا زاهدا » (١) .

ويقول عنه الامام ابن عبد البر فى كتابه : «الاستيعاب» : « كان رضى الله عنه خيرا فاضلا ، له دين وعبادة » (٢) .

ويقول عنه الامام النووى فى كتابه : « تهذيب الاسماء واللغات » : « كان خيرا فاضلا ، صاحب عبادة ، وله قدر وشرف فى قومه » (٣) .

وقد عرف سليمان الجهاد فى سبيل الله وقضى فيه عهدا طويلا ، وشهد مع الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه مشاهده كلها (٤) . ولقد نظر الامام على الى سليمان وهو مضروب بالسيف فى وجهه خلال احدى المعارك ، فقال له الامام :

« فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ، فأنت ممن ينتظر ولم يبدل » (٥) .

وشهد سليمان مع الامام ــ فيما شهد ــ معركتى صفين والجمل ، وكتب اليه عقبة بن مسعود وهو يجاهد مع الامام فى صفين يذكره بفضيلتى الجهاد والصبر ، فيقول :

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٥٥ .
(٢) الاستيعاب على هامش كتاب الاصابة ، ج ٢ ص ٦١ .
(٣) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ١ ص ٢٣٤ . ويقول عنه ابن عبد البر أيضا : « كان له سن عالية ، وشرف وقدر وكلمة فى قومه » الاستيعاب ج ٢ ص ٦١ .
(٤) أسد الغابة ، المجلد ٢ ص ٤٤٩ طبعة دار الشعب .
(٥) كتاب وقعة صفين . ص ٥٩٦ .

« أما بعد ، فانهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ، ولن تفلحوا اذن أبدا ، فعليك بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين ، والسلام عليك » .

وكان سليمان يردد وهو يجاهد فى معركة صفين قوله يعرض بالاعداء :

يا لك يوما كاسفا عصبصبا
يا لك يوما لا يوارى كوكبا
يا أيها الحى الذى تذبذبا
لسنا نخاف أبا ظليم حوشبا
لأن فينا بطلا مجربا
ابن بديل كالهزبر مغضبا
أمسى « على » عندنا محببا
نفديه بالأم ، ولا نبقى أبا (١)

وتولى سليمان بن صرد امارة قومه فى بعض مراحل الجهاد ، وكانوا يسمونه « أمير التوابين » ، وهم جماعة كانوا قد تأخروا عن مناصرة أبى الشهداء الحسين بن على رضوان الله عليهما ، ثم ندموا على ذلك عقب استشهاده ، وقالوا : « ما لنا توبة مما فعلنا ، الا أن نقتل أنفسنا فى الطلب بدمه » (٢) .

وزاد فى غيظ سليمان أنه كان قد جاءه قوم من أهل العراق ، يريدون أن يكتبوا الى الحسين بن على ليقدم

(١) وقعة صفين ، ص ٤٥٥ . وكاسفا : عبوسا . وعصبصبا : شديدا . ولا يوارى كوكبا : نجومه ظاهرة لشدة ظلامه واحتجاب شمسه لما ثار من الغبار . وحوشب : هو ذو ظليم الالهانى ، وكان ممن يقاتلون ضد الامام ، وقد قتله سليمان فى المعركة ، وابن بديل هو عبد الله بن بديل . والهزبر : الاسد .

(٢) الاستيعاب ، ج ٢ ص ٦٢ .

عليهم حتى يناصروه ، ويجعلوه اماما عليهم ، فقال لهم سليمان :

« ان كنتم تعلمون أنكم مناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا اليه ، وان خفتم الوهل والفشل ، فلا تفروا الرجل عن نفسه » (١) .

وخرج سليمان الى الجهاد ، واستنفر الناس للخروج معه ، فقال له رفيق جهاده : المسيب بن نجبة الفرازى :

« انه لاينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية ، وباع نفسه لله عز وجل ، فلا تنتظرن أحدا ، وامض لأمرك فى جهاد عدوك ، واستعن بالله عليهم » .

فوقف سليمان فى القوم خطيبا وقال :

« يا أيها الناس ، من كان انما خرج لوجه الله وثواب الآخرة ، فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ، فلا يصحبنا » .

فقالوا : ما للدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا .

فقال : سيروا على اسم الله تعالى .

ثم عاد سليمان يقول : « من كان منكم خرج للدنيا : ذهبها وزبرجدها (٢) ، فليس معنا مما يطلب شىء . وانما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح فى أيدينا ، وزاد يكفينا حتى نلقى أعداءنا » .

وكان خروجه يوم الجمعة ، لخمس مضين من شهر ربيع الاول سنة خمس وستين للهجرة .

وقال وهو يقترب من الميدان :

« على الله توكلنا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

وكان انتظار الموت لديه أقوى من انتظار الحياة ،

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ص ٣٥٢ .

(٢) الزبرجد جوهر معروف ، ويقال فيه : الزبردج .

ولذلك عين من خلفه أربعة من القادة للمعركة ، وقال لجنوده :

ان قتلت فالأمير عليكم المسيب بن نجبة ، فان قتل فعبد الله بن سعيد بن نفيل ، فان قتل فعبد الله بن وال ، فان قتل فرفاعة بن شداد .

وهكذا جعل من ورائه أربعة أمراء مستعدين للجهاد حتى الاستشهاد .

أرأيت التصميم والعزم ، مع صدق الاحساس بخطورة الموقف وشدة المعركة ؟

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ...

وبدأت المعركة وحمى وطيسها (١) .

ولما بلغ القتال أشده ترجل سليمان بن صرد عن فرسه ، وكسر جفن سيفه ، واندفع هو ينادى فى رفاقه :

يا عباد الله ، من أراد الرواح الى الجنة ، والتوبة من ذنبه ، والوفاء بعهده ، فليأت الى .

وجعل يقاتل والضربات تتوالى عليه ، حتى وقع ثم وثب ، ثم وقع عاجزا عن الوثوب بعد كل هذا المجهود ، فقال :

فزت ورب الكعبة !

وحينما سقط سليمان شهيدا فى الميدان ، بعد أن بالغ فى جهاده وأداء واجبه ـ سارع نحوه المسيب بن نجبة الفزارى ـ رفيق جهاده ـ وتناول الراية من يده ، وقال يخاطب سليمان :

---

(١) الوطيس : شبه التنور ، أو هو الوطء الذى يطس الناس ، أى يدقهم . وقيل : هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر أحد على وطئها . وفى حديث حنين : « الان حمى الوطيس » . ولم يسمع هذا التعبير من أحد قبل رسول الله عليه الصلاة والسلام .

رحمك الله يا أخى ، فقد صدقت ووفيت بما عليك، وبقى ما علينا !..

وأخذ نجبة يصول فى الميدان ويجول ، مقاتلا مناضلا، حافظا حقوق الرفقة والزمالة ، حتى نال هو الآخر نعمة الشهادة (١) .

وهكذا مضى هؤلاء الكرام على طريق الوفاء والفداء ، بلا تردد أو ابطاء ، وانما صلحوا لهذه البطولات ، لأمر هو سر الصلاح والاصلاح ، وأساس العزة والسيادة، وهو أنهم لم يحرصوا على الحياة ، ولم يهابوا الموت.

ولذلك كان سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول : «ألا لاتهابوا الموت، فوالله ماهابه امرؤ قط الا ذل» !

وكأنما استمد هـــذا التوجيه الرشيـد من قول سيدنا وقائدنا ورائدنا ، وامامنا وزعيمنا ، رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخبرنا أن مصدر الذل كله هو حب الدنيا وكراهية الموت ، وذلك حيث يقول :

« يوشك أن تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها » .

قالوا : ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟

قال : « لا ، بل أنتم حينئـذ كثير ، ولـكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهـابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن » .

قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟..

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » .

ويروى التاريخ انه لما سقط سليمان بن صرد شهيدا وتناول منه المسيب الراية ، قال وهو يشرع فى النضال:

---

(١) تريخ الطبرى ، ج ٥ ص ٥٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٥ ص ٥٠٤ .

قد علمت ميـــــالة الذوائب
واضحة اللبـــــات والترائب
اى غداة الروع والتغـــالب
اشجع من ذى لبــــدة مواثب
قصاع أقران مخوف الجانب (١)

ولقد روى سليمان بن سرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثـا فى الصحيحين ، ومن الاحاديث التى رواها عن النبى أن رجلين تلاحيـا ، فاشتد غضب أحدهما ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « انى لأعرف كلمة لو قالها سكن غضبه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

هذا وقد استشهد سليمان بن صرد وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، وكان استشهاده فى مكان يسمى « عين الوردة » من الجزيرة ، والوردة مدينـــة مشهورة بالجزيرة كانت فيها وقعة للعرب ويوم من أيامهم (٢) .

هـذا ويروى ابن كثير فى « البداية والنهـاية » ، ان المختار بن أبى عبيد استقبل رفاق سليمان بن صرد بعد استشهاد سليمان ، فقال معزيا فيه وفى رفاقه :

« مرحبـا بالذين أعظم الله أجورهم ، ورضى عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة الا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها ، وان سليمان قد قضى ماعليه وتوفاه الله ، وجعل روحه فى أرواح النبيين والشهداء والصالحين .. » (٣)

أى صنف من الرجال كان هؤلاء ؟ ..

---

(١) نظر تفاصيل استشهاد سليمان فى البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٥١ ـ ٢٥٤ .

(٢) معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٨٠ طبعة بيروت .

(٣) لبداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٥٥ .

فهرس

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة — ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

Sr. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

« رجال صدقوا » .. هكذا جاء العنوان ، وهو جزء من آية كريمة تقول : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

وفي مراحل بناء الامم تكون الحاجة الى صدق الافعال ، أشد من الحاجة الى صدق الاقوال ، وان يكن الصدق خيرا كله ، في كل زمان ومكان .

وطليعة الاعمال التي تتطلب كما لها بالصدق هي الجهاد والنضال، وقد كتب علينا قدرنا أن نحيا حياة الكفاح والمقاومة، ولا شك ان وجود « النماذج » العالية أمامنا في هذا الميدان ضرورة لازمة ، وفي السيرة الاسلامية العطرة ،وتراثنا البطولي الباهر ، ذخيرة - أي ذخيرة - الرجال كانت لهم أعمال شوامخ ، عمرها الحق والصدق، حيث صدقوا مع ربهم في الايمان به ، والاتباع لرسوله ، والتقرب منه ، والجهاد في سبيله .

ومع جلال ما قدموا لم ينالوا حقهم من التمجيد والتخليد ، فطوتهم أيدي الاهمال أو النسيان، مع شدة الحاجة الى معرفتهم عند من يريدون بناء مجتمعهم على نور الايمان وهدى الرحمن .

وقد كشف لنا فضيلة الدكتور احمد الشرباصي الغطاء عن مجموعة من هؤلاء الابطال ، بصدق البيان ، ودقة البحث ، وعمق الفكرة ، وروعة العبرة ، فتألف من حديث هؤلاء القمم موكب يبهر الابصار ، ويثير البصائر ، ويواصل خطواته في مسيرة يتعهدها صاحبها في متابعة واستمرار .

١٢ قرشا